مسجد المهضار

تحفة معمارية فنية إسلامية

بتريم - حضرموت (القرن ٩هـ - ١٥م)

دراسة أثرية - معمارية - فنية

تأليف :

حسين أبوبكر العيدروس

٢٠٠٤م

Scanned by CamScanner

البناء الأول لمسجد المحضار.

بَنَى الشيخ عُمَر المحضار بن عبد الرَّحمن السَّقاف مسجداً بتريم حوالى 63×93 قدماً[200] ، وقد كان في تلك المدة من المساجد الصغيرة كما هو موجود بتريم كمسجد الوعل و مسجد سرجيس حوالى (القرن الأول الهجري / السابع الميلادي) ومحتمل أنه أعيد بناؤه في القرن التاسع / الخامس عشر الميلادي أو السادس عشر الميلادي [201]. وبا علوي وهي أقدم مساجد تريم[202] ،إضافة إلى

---

198 – ابن هاشم ، (المرجع السابق) ، ص 44.

199 – الحبشي ، أحمد بن زين ، شرح العينية، (المرجع السابق)،ص195.

200 – الصبان ، محمد عبد القادر ، تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، سيئون ، 1983م ، ص 19.

201 – مواقع أثرية ، تقرير أولي عن مواقع مختارة للصيانة ، يونيو 1980م ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف .ص104.

202 – با غيثان ، علي سالم ، الجامع في تاريخ الجامع ، ص 46 ، 47. / شهاب الدين ، حامد ، الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم ، ص 126 ،137، 156 .

Scanned by CamScanner

الكثير من المساجد الصغيرة المنتشرة في تريم التي بنيت في مراحل لاحقة ، وتعد مساجد أوقات (للصلوات الخمس) .

ومع مرور الوقت وازدياد الحاجة إلى مساحة أوسع ، ونتيجة لصغر مساحة مسجد المحضار أضيفت مساحات أخرى إليه ، ويذكر أن ترميم وعمارة المسجد كانت على يد العلامة السيد أبوبكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين[203] ، ورمم فيه بعض الترميمات وبنى منارته الشهيرة ، ويذكر صاحب لوامع النور أن المنارة بناها الحبيب علوي بن شهاب ، فهو الذي قام بوضع وتخطيط منارة المحضار ، فقد جاء بصورة من الهند لمنارة إحدى المساجد ثمَّة أعجبته فاقترح أن يعمل مثلها ، ولم يكتف بمثلها .. بل دفع مبلغاً من المال في عملها .. وبُدِيءَ بالعمل فيها وحفر الأساس[204] . والمشهور المتداول بين الناس أن المصمم والمخطط والمنفذ للمسجد والمنارة هو السيد العلامة أبوبكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين .

ولا يزال المسجد معموراً ، وتُعقَدُ فيه الاجتماعات الكبيرة في المناسبات مثل ليلة التاسع والعشرين من رمضان[205] وليلة التاسع من شوال وأول يوم رجب بعد صلاة الفجر وفي يوم عرفة بعد صلاة الفجر وفي يوم الثاني عشر من ربيع

---

[203] – تذكر المصادر عودة أبي بكر بن شهاب من حيدر أباد بعد غياب سنين طويلة ، فكانت عودته الأخيرة عام 1332هـ/1913م ، حيث استقبل استقبالاً شعبياً وحكومياً ، وعاد بعد نحو عامين إلى حيدر أباد لينقل أسرته منها إلى حضرموت وحالت ظروف الحرب العالمية العظمى دون ذلك وكف بصره آخر عمره وتوفي بحيدر أباد سنة 1341هـ . وقيل هذا التاريخ الذي عاد فيه بإحدى عشر سنة تقريباً كانت قد تمت توسعة مسجد المحضار في بيت الصلاة قبل بناء المنارة وعمل التوسعة الكبيرة التي شملت انشأ الصحن والأروقة المستجدة حوله، ويؤكد ذلك النص الكتابي المحفور على الباب الداخلي ببيت الصلاة والمورخ 1321هـ (راجع نبذة عن حياة بن شهاب في كتاب الشاطري ، أدوار التاريخ الحضرمي ، ج2 ، ص 459.

[204] – المشهور ، أبي بكر العدني بن علي ، لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت ، ج1، دار المهاجر للنشر والتوزيع ، تريم ، ط1 ، 1412هـ ، هامش ص57.

[205] – تعد ليلة التاسع والعشرين من رمضان في مدينة تريم بالذات من أعظم الليالي الرمضانية ، إذ أن أكبر ختم بها هو ختم المحضار الذي يحضره جمع كبير من مدينة تريم والمدن المجاورة ويحل الضيوف على تريم من مختلف المناطق ولا يجد البعض موضع قدم في حرم المسجد إذا لم يأت باكراً ، وتمتلئ الساحات المجاورة بالمصلين ويستمر الختم حتى قبيل الفجر تقريباً .

Scanned by CamScanner

الأول بعد الفجر أيضاً وغير ذلك من المناسبات[206] . فأضيفت مساحات أخرى إليه ، وكما يتضح فقد أخذ المسجد مساحات ضعف مساحته التي كانت هي النواة الأساسية الأولى . ويتضح ذلك من خلال النص الكتابي المحفور على باب من الأبواب الداخلية لبيتي الصلاة وعليه تاريخ 1321هـ . ولم تتوقف التوسعة إلى هذا الحد فقط ، بل امتدت مرة أخرى باتجاه الشرق لتضاف مساحات أكبر بكثير من الأولى لإنشاء الصحن المكشوف الذي تحيطه أروقة أربعة وأكبرها ما يطلق عليه رواق القبلة ، والواقع باتجاه الغرب ، وهو مكون من ثلاث بلاطات تمتد من الشمال إلى الجنوب بمسافة تقدر بحوالى 36 متراً .

قام بالتصميم والبناء المهندسون والعمال التريميون[207] (عوض سلمان عفيف وإخوانه)[208] ،وهؤلاء العمال ليسوا بالمهندسين كما هو المصطلح المعروف حالياً ، ومع ذلك فقد كانت لديهم خبرة كبيرة ناشئة من البيئة التقليدية، حيث أن دور المعماري التقليدي مهم للغاية ، وثَمَّة شواهد تاريخية تشير إلى مشاركة المهندسين في بناء البيئة التقليدية وكيف أنهم أبدعوا في التصاميم ، وليسوا هم معماريين بالمفهوم الحديث ، فالمعماري بمفهومنا الحالي هو الشخص الذي يقرر للآخرين ما يفعلون . أما أولئك فهم البناؤن الذين اتبعوا الأنماط البنائية وبالذات التقنية ، وسموا كذلك لتمكنهم وفهمهم للأنماط أكثر من غيرهم[209] .

---

[206] – شهاب الدين ، حامد بن محمد بن عبد الله ،الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم ،مكتبة تريم الحديثة،1422هـ/2002م،، ص150.

[207] – هولاء عمال مهرة ولكنهم يمتلكون خبرة واسعة ودراية عميقة بأصول البناء الطيني ، ويتوارثون البناء كحرفة عائلية عرفوا بإتقانها والفلاح فيها ، ويعدون كمستشارين في عمارة الطين في حضرموت ، وليسوا بمهندسين بالمعنى المعروف اليوم ، وثَمَّة معالمة بناء لهم سمعة طيبة في البناء الطيني في حضرموت أمثال (يَعْمَرْ) وغيره ..

[208] – الصبان ، عبد القادر محمد ، (المرجع السابق) ، ص 19.

[209] – اكبر ،جميل عبد القادر ، عمارة الأرض في الإسلام ، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، مؤسسة الرسالة، ط3 ، 1419هـ/1998م،ص385.

Scanned by CamScanner

وقد كان تصميم المسجد في البداية مسجداً للصلوات الخمس وليس جامعاً تقام فيه الجمعة أو صلاة العيد كما هو معروف ، إذ لا توجد شروط الجامع الضرورية فيه مثل المنبر ودكة المبلغ كما هو معهود في الجوامع ، وبالمناسبة فقد أقيمت صلاة الجمعة في هذا المسجد في عام (1392هـ/ 1972م) عندما تعذرت إقامتها في جامع تريم بسبب التوسعات التي كانت تتم فيه[210] .

وكان من أبدع ما أنجزه هؤلاء المعماريون من أهالي البلدة ذلك التصميم والتنفيذ الرائع للواجهة الرئيسية التي تتوسطها المئذنة الشامخة بارتفاع ينيف عن 32 متراً (~~100 قدماً~~) ، على قاعدة مربعة الأضلاع وبداخلها دَرَجٌ للصعود إلى أعلاها ، وقد كان تنفيذها في سنة(1333هـ / 1914م) على ما جاء في بعض المراجع وذكره النُظَّار[211] ، وهي المدة التي كان فيها الحبيب أبوبكر بن عبد الرحمن المشهور قائماً على نَظَارة المسجد حتى سنة(1334هـ/1915م) عندما عاد إلى الهند[212] . فهذا التاريخ معقول وأقرب إلى الواقع فلم نجد نموذجاً معمارياً يشذ عمَّا هو مألوف في عمارة المساجد في حضرموت في زمن أسبق من هذا التاريخ ، والمعهود في أغلب المآذن الحضرمية هو الشكل الأسطواني المخروطي الذي تتوجه قبيبة قائمة على أساطين (سواري) [213] ملبسة بالطين والنورة ، وهو النمط المعماري السائد في حضرموت ، وهذا لا يعني أنه لا توجد أنماط معمارية أخرى، فالنمط المعماري الأول في حضرموت هو النمط المربع من القاعدة إلى

---

210 – باغيثان ، علي سالم ،الجامع في تاريخ الجامع ،بحث في تاريخ جامع تريم،(د.ت)، ص40.

211 – زبال ، سليم ، (المرجع السابق) ، 125.

212 – المشهور ، أبي بكر العدني بن علي ، لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت ، (المرجع السابق)، ص309.. ويذكر أنه عاد مع أسرته ، وقد ذكر الشاطري خلاف ذلك ، فقال : "أنه عاد بعد نحو عامين إلى حيدر أباد لينقل أسرته منها إلى حضرموت وحالت ظروف الحرب العالمية العظمى دون ذلك وكف بصره آخر عمره وتوفي بحيدر أباد سنة 1341هـ " (الشاطري ، (المرجع السابق) ج2، ص 459.

213 – الأساطين : هي السواري ، أو السارية ، راجع :

عثمان ، محمد عبد الستار ، الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي ، دراسة أثرية معمارية ، دار المعرفة ،1408هـ/1988م، ص182.

Scanned by CamScanner

القمة كما هو موجود نادر في بعض المساجد العتيقة بالوادي مثل جامع هِيْنَنْ سنة (795هـ/1393م)[214] ، ومسجد بلاد الغُرَيِّبْ الذي بناه شجعنه بن راشد سنة(583هـ/1188م)، وهو أول مسجد بُني في القرية[215]، ويقال أنه في (القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي) الذي بناه الفقيه حسن بن أبي السَّيْبَانيّ [216] ، وهو النمط الأصلي على ما يبدو لوادي حضرموت ، ثم تلاه النمط الأسطواني المخروطي على نمط منارة مسجد الحبيب علي بن محمد الحبشي المعروف بمسجد الرياض بسيئون (1295هـ/1878م) ،إلا أن طول المآذن آنئذٍ كان أقصر من ذلك الطول ، وقد رأى بعض الدارسين المتأخرين بأن تاريخ بناء منارة المحضار تم قبل 500 عام[217]، وهو تاريخ بعيد جداً عن الواقع وليس له أساس من الصِّحَة . ويكفينا أن نعلم أن هذه المئذنة الرفيعة القائمة في الفضاء لم يُستخدم في بنائها لا الحديد ولا الإسمنت وإنما الطّين وجذوع النخل فقط ، وارتفاعها الشاهق يجعلها قبلة للأنظار فحيثما اتجهت في تريم تجدها أمامك[218] .

ومن الوهلة الأولى يرى الوافد إلى مسجد المحضار بأن ثمة نمطاً معمارياً دخيلاً على العمارة الحضرمية (لوحة 1) ، وتأثيراً كبيراً يتجلى في هذه المئذنة ، ولعل هذا نتيجة واضحة للهجرات المستمرة للحضارم والتداخل والتزاوج مع أهالي جنوب شرق آسيا، وكما علمنا منذ بدايات الفتح الإسلامي ، ومن هنا نجد أن هذه الهجرات والصِّلات كان لها أكبر الأثر على جلب بعض الأفكار والنماذج

---

[214] – شنبل ، احمد بن عبد الله ، (المرجع السابق) ،ص151.

[215] – الأقرب أن المقصود بالقرية هي " بلاد الغريب" نفسها ، ويذكر بن عبيد الله في معجمه أنه في سنة 583 بُني مسجد الغريب وهو أول ما بني في القرية. (السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله ، المرجع نفسه ، ص 296.

[216] – شنبل ، احمد بن عبد الله ، (المرجع السابق)، ص53.

[217] – مبارك ، نجيب محمد ، الفن المعماري لتصميم مساجدنا ، مجلة الإكليل ،وزارة الثقافة ، صنعاء ، السنة 13 ، العدد الأول 1992م ، ص 183.

[218] – زبال ، سليم ، (المرجع السابق) ، ص 131 .

Scanned by CamScanner

المعمارية إلى الأوطان عند عودتهم إليها[219]، ومن الواضح أن التأثيرات لم تقتصر على العمارة الدينية فحسب ، بل شملت شتى أنواع العمارة وكذا ما بها من أثاث أيضاً ، وهذا ما رأيناه في أغلب قصور أسرة آل الكاف في تريم وسيئون وما تمثله من طفرة في العمارة الحضرمية في تلك المدة حيث كانت العلاقات مع سنقافورا وإندونيسيا والهند وماليزيا وهولندا وغيرها من البلاد التي هاجر الحضارمة إليها لا للتجارة في المقام الأول كما يزعم البعض[220] ، ولكن لنشر التعاليم الإسلامية ، وهو ما حدث فعلاً، فتشَرَّبَت تلك البلدان بنور العلم الإسلامي على أيدي علماء حضرموت[221] ، فعلينا إشهار هذا الصنيع وعَدَم إغفال دورهم العظيم لا سيما وقَدْ سَجَّلته الأيام وخَلَّدَهُ التاريخ في أشرف صفحاته .

ولم تقتصر جمالية هذا البناء الرائع في العمارة الإسلامية على الأسس المعمارية أو التصميم الإنشائي الخارجي بتماثل مداخله في الواجهة الرئيسية مثلاً ، ولكن تجاوزت إلى مدى أكبر من ذلك ، فتلبست الواجهات بالزخارف المتنوعة البارزة والمسطحة وزخارف هندسية وأخرى نباتية مجردة أو محورة . وبالرغم من نُدْرَتها في جدران المسجد الداخلية – مقارنة ببعض مساجد اليمن العتيقة أو

219– ويذكر الحبيب أبي بكر العدني في لوامع النور أنه جيء بصورة لمنارة إحدى المساجد من الهند أعجبته فاقترح أن يعمل مثلها .(راجع ص 57 ، لوامع النور السابق ذكره).

220 – يوسفنا جداً أن من كُتَّاب تاريخ حضرموت البارزين في الخمسينيات من القرن الميلادي الماضي (راجع صلاح البكري ، تاريخ حضرموت السياسي ، ص73 _78) ،(الجنوب العربي ،ص 97-146) ، أن ينكروا دور المهاجرين الحضارم في نشر العلم ، وينكروا دور السادة العلويين بحضرموت في تثبيت دعائم الدولة في أزمنة تاريخية متباينة ، بالرغم من إشادة معظم المصادر والمراجع لهذا الدور الفاعل والذي خرج عن الطور السائد المعهود بالعنف بالسلاح والقتال ، فكان دورهم الإصلاح بين القبائل المتحاربة ، وكان السلاطين يستشيرونهم في جميع أمورهم وقبل اتخاذ القرار ، لا لشيء خلاف أنهم يستخدمون المنطق والعقل والاحتكام للدين وسلوكياته . وعلى الأقل أن يكون المؤرخ منصفاً لا ينحاز لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

221 – لقد درس (أر .بي . سارجنت) الكثير من المخطوطات والكتب في التراجم وتاريخ حضرموت وبعض العلوم الأخرى التي تسنى له الحصول عليها من بعض مكتبات خاصة في حضرموت ، وقد كتب عدد من المقالات حول ذلك ، ثم نشرها وقام بترجمتها الدكتور سعيد عبد الخير النوبان وصدرت في كتاب بعنوان (حول مصادر التاريخ الحضرمي). ولا ننكر جهده في البحث في أدق الأمور عن كل القبائل الحضرمية وأحوالها الاجتماعية بالذات من خلال كتب التراجم والسير المخطوطة لعلماء حضرموت .

Scanned by CamScanner

المعاصرة[222] – وتركزها حول محرابين من محاريب بيت الصلاة ، إلا أنها قد أعطت روحاً فنية وكسرت من جمود الطبيعة المعمارية داخل المسجد.

استخدمت (النُورَة) أو الجير المطفي الذي ينتج محلياً إلى وقتنا الحاضر في تلبيس العمارة الطينية في وادي حضرموت ، إذ تغطى الجدران الطينية بعد أن تسوى وتُنَعَّم جيداً بالطين الناعِم المخلوط بالتِّبن الدقيق وتسمى هذه العملية (التَغْسِيَة) ،وتطلى بطبقة سميكة ممزوجة بالرمل الخشن ثم الرَّمل الناعِم وتُدْعَك جيداً ويتم تنعيمها وتُرَش مرات أخرى بالنورة بواسطة فُرُشٍ من خُوص النخيل حتى تصبح الجدران متماسكة ناعمة الملمس براقة المظهر ، وربما تم عمل (الملس) لبعض الجدران وهو درجة عالية من النعومة تستخدم فيها الغرابيل لتنقية النورة وأخذ الصفوة منها ، وهكذا تُغَشَّى المداميك وتُغَلَّفُ السقوف بعد تغطيتها بالأخشاب من أشجار العِلب (السِدْر) أو من جذوع النخيل بعد تقسيمها طولياً واستخدام أغصان الأراك وهي ما زالت طرية غضَّة حيث توضع فوق (القواسم) الخشبية الكبيرة التي تحمل ثقل السقف .وإلى جانب (النَّورة) استخدم الرماد الناتج عن بقايا حرق الأخشاب في (التنانير / التنور) ، وهكذا نجد أن معظم المواد المستخدمة في البناء متوفرة في البيئة المحلية وليس من الصعب الحصول عليها في ذلك الوقت[223] .

وفي تزيين بعض الجدران كما هو الحال الزخارف البارزة حول المحاريب في بيت الصلاة أو الزخارف البارزة على واجهات المئذنة وغيرها استخدمت مادة

---

[222] – عند المقارنة بين مساجد حضرموت ومساجد مناطق صنعاء خاصة ومساجد مناطق أخرى مثل مسجد العباس (أسناف) في حجانة شرق صنعاء ومساجد زبيد وغيرها من المساجد والجوامع في مناطق أخرى من اليمن ، نجد أن مساجد حضرموت فقيرة جداً وربما معظمها يخلو من العناصر الزخرفية في واجهته أو حول المحاريب ، وربما يرجع ذلك لكراهة بعض المذاهب الإسلامية للزخرفة والتزويق لكونها تشغل المصلي والمتعبد .

[223] – عن مواد البناء وطريقة البناء بالطين ومراحله ، يمكن الرجوع للاستطلاع الموسع الذي قدمته مجلة تراث الإمارات في عددها رقم38 ،شوال 1422هـ/يناير 2002م ، قام بالاستطلاع : حمدي نصر ، وشارك فيه عدد من الباحثين والمهتمين بالبناء الطيني باليمن ووادي حضرموت.

Scanned by CamScanner

(الإشِنَانْ)[224] مع الطين النقي من الرمل ويسمى هذا النوع من الطين (الزبْر) ويكون بارداً يؤتى به من الإرسابات التي تخلفها السيول على حواف الأودية الكبيرة ، التي ترسبت منذ زمن طويل ، وفي وادي حضرموت ثَمَّة مواضع خاصة معروفة يتم أخذ التربة الجيدة منها . أما في الدرابزينات فقد تم استخدام قوالب صغيرة من الآجر (الطوب المحروق) ، ونلاحظ أن هذه الدرابزينات تتوج الجدران الخارجية والداخلية لسطح مسجد المحضار التي تشرف على صحن المسجد وكذا التي تشرف على الجهات الأربع خارج حرم المسجد ، وقد طليت هي الأخرى بالنورة وأصبحت منسجمة مع الجدران نفسها .

المخطط الأول لعمارة المسجد :

تعرضنا عند حديثنا عن تريم إلى مساجدها التي وصل تعدادها إلى نحو 360 أو 365 مسجدا ، فلا شك أن هذا العدد كبير وقد يكون مبالغاً فيه إلى حد ما ، إلا أنه ليس من المستبعد أن تكون مدينة مثل تريم بها ما بها من رجال تفرغوا للعلم ووهبوا أنفسهم لخدمة الدين ونشره فيها هذا العدد من المساجد وإن كانت (مساجد أوقات أو مساجد الخمسة)[225] وهي أشبه بمصلى صغير في معظم البيوت ، وقد رأينا ذلك إلى وقت قريب في بيوت معروفة ، وما زالت المحاريب قائمة بها إلى

---

[224] – الإشنان، مفرد أشنة : نباتات من مستورات الزهر تظهر في الأمكنة الرطبة (على الأشجار والصخور) أو في المياه الحلوة أو البحار ، وهي لا تحتوي على مادة الكلوروفيل ، معروف أيضا بالطحلب.(راجع: المنجد في الأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط27 ، 1986م. ص12 . وينطق في حضرموت (شِنَانْ) .

[225] – يطلق على المساجد التي تتم الصلاة فيها للفروض الخمسة دون الجمعة أو صلاة العيدين مساجد أوقات أو مساجد الخمسة وتعني الخمسة الفروض .

Scanned by CamScanner

وقتنا الحاضر في مناطق متفرقة من حضرموت ، حيث يكون بجوارها مكان للوضوء وقد يكون فيها جابية صغيرة للاغتسال .

ومسجد المحضار كما ورد عند تأسيسه في حياة الإمام المحضار مسجد صغير حددت مقاساته بـ 63 × 93 قدماً[226] ، دعت الحاجة في ذلك الزمان أن لا يتعدى هذا الاتساع لكثرة المساجد وتجاورها ، فربما تجد في بستان واحد لا يفصل بينهما سوى جدار أكثر من مسجد صغير (شكل 1).

Scanned by CamScanner

الباب الثاني

الفصل الأول

مسجد المحضار بتريم

أسسه المعمارية والتطورات التي طرأت عليه

مواد وطريقة البناء:

يُعدّ مسجد المحضار من أشهر مساجد اليمن من الناحية الفنية والمعمارية ذي الطراز المميز الفريد في التصميم ، وكذا أسلوب البناء ومادته ، فقلما تجد من هذا الطراز مما هو عليه مسجد ومنارة المحضار على وجه الخصوص ، فمادة البناء الأساسية المتمثلة في الطين والقوالب المجففة بالشمس (المَدَرْ) على منوال العمارة القديمة التي تعود لمدة ما قبل الإسلام في عدد من مواقع الآثار في وادي حضرموت التي يعود تاريخها إلى أكثر من عشرة قرون قبل الميلاد[227] ،حيث تشهد التجانس الطبيعي بين المادة المستخرجة من غير إضافات كيماوية عليها سوى إضافة فتات أغصان وقشور البُر(التبن) عليها

---

227 - يمكن مراجعة التقارير الأثرية الصادرة عن البعثات الأجنبية التي عملت في وادي حضرموت ، ومنها البعثة الفرنسية ، بريتون ، جان فرانسوا وآخرون ، وادي حضرموت تنقيبات ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، عدن ، 1978، 1979م / تقارير البعثة الأثرية اليمنية الروسية المشتركة 1983-1989م ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، سيئون (استنسل (8 أجزاء) / العيدروس ، حسين أبوبكر ، تقرير المسح الشامل لمواقع الآثار في وادي حضرموت لمشروع توثيق التراث الحضاري – البعثة الايطاليه- 2001م ، (غير مطبوع).

Scanned by CamScanner

لتكسبها المتانة والقوة التي أثبتت تكيفها مع جو المنطقة الجاف الحار ،والواقع أنه يوجد على الأقل عشرون طريقة مختلفة معروفة في مجال البناء بالطين ، ولكن من بين هذه الطرق تسود طريقتان أساسيتان : الطريقة الأولى هي طريقة(الطوب Adobe) وهي كلمة عربية وبربرية جاء بها الأسبان إلى الأمريكتين ، والطريقة الثانية هي (بيسية دي تير) وهو اسم لاتيني الأصل استعمل لأول مرة في ليون (بفرنسا) عام 1562م، ويطبق على أسلوب تشييد الجدران بسماكة لا تقل عن 50 سم[228].وربما هو النمط السائد في مناطق يمنية أيضاً مثل مارب وصعدة والجوف وغيرها من المناطق الصحراوية الجافة.

وإلى جانب ذلك فقد يتم إضافة نبات الطهف وهو موجود بكثرة في الجهات الغربية من وادي حضرموت كدَوْعَنْ وعَمِدْ ، كما استعملت أغصان شجرة الإثل ، وأغصَّان الأدخر أو(الأشِنَانْ) وأغْصَان الشعير[229] ، وقد استعمل بعضها في تكوين اللَبِنَاتْ (المَدَرْ) مثل الشعير والبُر واستعمل الأشِنَانْ في عمل التكوينات الفنية الدقيقة كالزخرفة والتزويق ، واستعمل الأراك والعِلْب وجذوع النخيل لسقف المباني.

وتنبغي الإشارة إلى أن معظم أجزاء مسجد المحضار ومنارته الشهيرة لا يعود تاريخ بنائهما إلى عهد مؤسسه الإمام عمر المحضار المتوفى سنة (833هـ / 1430م) ، وإنما طرأت الكثير من التغيرات على أجزاء المسجد ، كما حدثت به توسعات كبيرة غيرت بالفعل ملامح المسجد الذي أسسه المحضار في زمانه ، ولا شك أننا لو تصورنا هيئة المسجد القديمة فإننا لا نجدها تختلف كثيراً عن هيئة

---

[228] – وزيري ، يحيى (م.د) ، العمارة الإسلامية والبيئة الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي ، عالم المعرفة304، يونيو 2004م، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، ص105.

[229] – السقاف ، جعفر محمد ، حضارة الطين في وادي حضرموت ، (مقال مصوَّر) ، صحيفة الأربعاء الأسبوعي ، 16 ذو القعدة 1414هـ ،ص 22،23. وكذا قول جعفر السقاف في مجلة تراث الإمارات (نصر حمدي ، العمارة الطينية .. تناغم الإبداع بين الإنسان والمكان، استطلاع بمجلة تراث الإمارات، العدد 51،يناير2002م،ص 10-21.

Scanned by CamScanner

المساجد التي ما زالت قائمة إلى وقتنا الحاضر وهي قديمة التأسيس والبعض منها قبل عهد المحضار بعدة قرون ، ومنها على سبيل المثال مسجد سرجيس[230] حوالى (القرن الأول الهجري / السابع الميلادي)[231] ومسجد الجامع بتريم سنة (215هـ/825م)[232] أو كما يقال سنة (375هـ ، 402هـ / 985 ،1011م)، في عهد الحسين بن سلامه - في عهد الدولة الزيادية - الذي بنى عدداً كبيراً من المساجد في اليمن[233] (581هـ[234]/ 1185م) و جدد مساجد أخرى عدة مرات في سنة (585هـ/ 1189م) ، ثم في عهد السلطان عامر بن عبد الوهاب في سنة (902هـ / 1496م)، ثم في سنة (917هـ[235]/ 1511م) ، ثم التوسعة الأخيرة التي قيضت كامل المسجد وهدمت جميع ما به سنة(1392هـ / 1972م[236]) . ومسجد القوم المعروف قديماً بمسجد بني أحمد وقد رممه الإمام محمد بن علي صاحب مرباط المتوفى سنة (550هـ/1149م) ، ثمَّ بُنيَتْ له منَارَة أنشأها الإمام علوي بن أبي بكر خرد المتوفى سنة (926هـ/ 1524م) ، وبَنَى له حَمَّامَا للصلاة أيام الشتاء

---

230 – لقد وجدت عند بعض المستشرقين تعليلاً لوجود اسم سرجيس في تريم ما معناه أن ثَمَّة علاقة وثيقة بين مسيحيي نجران الموحدين ومسيحيي حضرموت ، ففي مدة اضطهاد المسيحيين في حضرموت قُتِل القسيس النجراني مارتونا فوما ، وبعد إجراء التحقيق مع الطفل ذي الثمان سنوات ، أعلن ذو نواس أن والد هذا الطفل المسيحي أصله من حضرموت . والشاهد الأثري الوحيد عن وجود الجالية المسيحية في حضرموت ، لا يزال هو تلك الزخرفة الرخامية التي بها صورة لملاك ، وقد اكتشفت في أواسط القرن الحالي بين أنقاض حصن الرناد ، ونقلت عند إعادة بناء القصر السلطاني ... ويفترض سارجنت وجود بقايا تقديس سرجيس القدوس بين أوساط مسلمي تريم ، (على أساس أن سرجيس هو نبي أسطوري لما قبل السلام ، والذي سمي باسمه أحد مساجد تريم) .. لمزيد من المعلومات راجع : فرانتسوزوف ، سرجيس (د) ، (المرجع السابق) . ص93.

231 – مواقع أثرية ، تقرير أولي عن مواقع مختارة للصيانة ، يونيو 1980م ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف.ص 104.

232 – السقاف ، عبد الرحمن بن عبيد الله ، حضرموت : بلادها وسكانها ، حمد الجاسر ، عن مجلة العرب ،مجلة شهرية ، الرياض ،ج7،8 ،س 32 – محرم وصفر سنة 1418هـ – حزيران ، تموز (يونيه، يوليو)سنة 1997م، ص520.

233 – باغيّثان ،علي سالم بكير ، (المرجع السابق) ، ص17.

234 – ابن حميد ، سالم بن محمد بن سالم ، تاريخ حضرموت ، العدة المفيدة ، تحقيق عبد الله الحبشي ، مكتبة الإرشاد ، ، ط1،ج1 1411هـ/1991م، ص 72 .. شنبل ، أحمد بن عبد الله ، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل ، (المرجع السابق)، ص52.

235 – شهاب الدين ، حامد بن محمد بن عبد الله ، (المرجع السابق) ،ص152.

236 – باعيثان ، علي سالم بكير ، (المرجع السابق) ، ص32.

Scanned by CamScanner

سنة (801هـ[237]/ 1399م) ، وكذا مسجد باعلوي الذي أسسه الإمام علي بن علوي خالع قَسَمْ المتوفى سنة (529هـ/1127م) وعَمَرَهُ المحضار سنة (833هـ[238]/ 1430م) ، ثم أحدث أبو بكر خرد جابية فيه سنة(910هـ[239]/ 1508م) ، ثم نُوِّر المسجد من ظاهره بالنُّورةِ سنة (918هـ[240]/1516م)، ومساجد تريم كثيرة وهذه نماذج منها وكانت في مراحل متقاربة ، إلا أن التغيير لم يكن بالقدر الذي طرأ على مسجد المحضار ، ولهذا فإن هيئات المساجد المذكورة ما زالت محتفظة بقدر كبير من هيئتها عند التأسيس ، إضافة إلى المساجد الكثيرة التي أنشئت في المناطق والقرى المجاورة شرق تريم وغربها ، وليس ثَمَّة مجال للتوسع عنها، فكلها نماذج متقاربة ويحس من يرتادها بروحنة عظيمة وسكون لا يجده في المساجد التي تبنى في زماننا الحاضر ، ونخشى كثيراً من التجديد الذي أصبح هاجساً لجامعي الأموال من خارج الوطن ، الذين أصبح همُهم الأول هدم المساجد القديمة وطمس معالمها وبناء هياكل من الأسمنت على أنقاضها ، وقد حدث هذا خلال السنوات الأخيرة ، وهو ما يبعث على الأسى .

إن البناء القديم لمسجد المحضار - على الأقل – قبل التجديد الذي حدث سنة (1333هـ/1914م) كان مقسماً إلى ثلاث بلاطات مقسمة ببائكتين ثلاثية العقود تعتمد كل بائكة على أسطونين عريضين مغشيين بالطين الملبس بالنورة ، ولا تزيد المسافة بين هذين الأسطونين بين 5-6 أقدام .(شكل 17).

وبواقع الحال فإن لهذه النواة الأولى للمسجد محراب يحدد القبلة ويتجه إليه الإمام ليؤم المُصلينَ ، غير أنه من الواضح أن المحراب القائم اليوم ليس هو نفس

---

237 – شهاب الدين ، حامد بن محمد بن عبد الله ، (المرجع السابق) ، ص 128، 129.

238 – شهاب الدين ، حامد بن محمد بن عبد الله ، (المرجع السابق) ، ص126.

239 – شنبل ،أحمد بن عبد الله ، (المرجع السابق) ، ص 223.

240 – شنبل ،أحمد بن عبد الله ، (المرجع السابق) ، ص 251.

Scanned by CamScanner

المحراب الذي كان قائماً عند تأسيس نواة المسجد ، ويمكن ملاحظة ذلك من نوعية وطريقة البناء ، حيث أضيفت الزخارف حوله ليحدث التماثل بينه وبين المحراب الأيمن الذي أنشئ في نفس المقصورة الحالية (المقصورة الجنوبية) (لوحة 12).

إن امتداد النواة الأولى للمسجد تنحصر فيما بين الجدار الجنوبي للمقصورة الجنوبية وحتى موقع العمودين الحاليين الثالث من البائكتين الأولى والثانية ، والمتعامدين مع جدار القبلة والجدار الشرقي . (شكل1).

أما سقف هذه النواة فإنه يقوم على بائكتين تحملها أساطين كبيرة القطر مغشاة هي الأخرى بالنورة أو الجير ، أما عقودها فتظهر من النوع الذي يطلق عليه العقد المدبب المخموس (شكل 17) ،وهو قريب الشبه من العقد الحدوي مع زيادة التدبب في رأسه ،ويشبه هذا العقدُ العقودَ التي ما زالت قائمة التي تشكل بوائك وبلاطات جبانة تريم التي بنيت سنة (566هـ/1171م)، ويرى الباحثون بأن أصل هذا النوع من العقود يرجع إلى الشرق الإسلامي حيث استقر ونما وازدهر فيه وفي وسط العالم الإسلامي[241] ، وهو نمط كثير الانتشار في المساجد القديمة في حضرموت ، وتشبه العقود التي على مدخل المسجد الكبير في قرطبة (بوابة سان استبان)[242]مع اختلاف زيادة التدبب في أقواس مسجد المحضار في بيت الصلاة الجنوبية .

والعقود هي عنصر معماري مقوس يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر ، ويشكل عادة فتحات البناء أو يحيط بها ، حيث يتألف العقد من عدة حجارة كل واحدة تسمى فقرة أو صنجة ، وفي العهد الأيوبي ظهرت الصنجات المزررة ملونة بالتناوب ، وهي عبارة عن حجارة مقصقصة الأطراف متداخلة فيما بينها . وقد

---

241 – شافعي ، فريد محمود (د) ، (المرجع السابق)، ص203.

242 – كريزويل ، ك ، (المرجع السابق)، ص203.

Scanned by CamScanner

عرفت العمارة الإسلامية أنواعاً كثيرة من العقود ، قد تصل إلى حوالى اثني عشر نوعاً [243].

وبنفس هيئة العقود نجد رفوفاً(طيقان)[244] في جدار القبلة لبيت الصلاة القديمة، وهي غائرة في الجدار بنحو 30 سم وترتفع عن مستوى أرضية المسجد بنحو 80 سم ، وتستخدم لوضع المصاحف أو غيرها . أما السقف في هذه المقصورة فيرتفع بنحو (4.5 - 5 متراً) بشكل مقوس بين كل بائكة وأخرى ، ويسمى هذا البناء في لهجة حضرموت (جَمْلُولْ) أي جَمَلونْ (أنظر لوحة 10) ، وهو العَكْفْ على طريقة الصِنَجْ التي تُبْنَى كل واحدة منها خارجة عن سابقتها على حدود شبه دائرية أو حدوية أو غيرها حتى تُغْلقُ في آخر العَكْفْ (العِقْدِ) بما يسمونها اصطلاحاً (بالصِنْجَةِ المفتاحية) ، ومن ثَمَّ تسَوَّى أرضية السقف وتُغطى المناطق المنخفضة منها لتصبح كلها متساوية ويكون سطح السقف مستوياً تماماً .

التوسعات التي حدثت بالمسجد :

إن المساحة التي بُنيَ عليها المسجد في نواته الأولى كانت صغيرة ، إذ بلغت حوالى (54.043 متراً مربعاً) ، وهي مساحة تعادل مساحات المساجد التي ورد ذكرها سلفاً في تريم ومناطق أخرى كانت وما زالت قائمة على هيئتها أو مع الترميمات والتجديدات الطفيفة عليها من غير المساس بالهيكل العام وتغيير

---

243 – وزيري ، يحيى (د.م)، (المرجع السابق)، 147.

244 – وتسمى الرفوف في بعض مناطق من حضرموت (طيقان) مفردها طاق .

Scanned by CamScanner

الملامح العامة فيها ، ومع مرور الوقت كانت الحاجة إلى زيادة المساحة في المسجد بحكم ازدياد الأعداد السكانية في المنطقة ، إذ من البديهي أن الزيادة السكانية مطردة وجارية على قدم وساق حتى يومنا هذا ، ومع أن هذا لم يكن مبرراً لأن تُهدَمَ مساجدُ وتُبنَى أخرى جديدةٌ ، و إلا لم نعد نجد في يومنا هذا أياً من مساجد أسلافنا رحمة الله عليهم أجمعين .

فمن المؤكد أن وجود الإمكانيات المادية لاسيما وقد كان عُمَّار المسجد ممن هاجروا خارج الأوطان إلى جنوب شرق آسيا فهم بالتأكيد ميسورو الحال .

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني

بيتا الصلاة

يُعد صحن المسجد من العناصر المميزة في عمارة المساجد الإسلامية والجوامع ، والواقع أن التصميم قد فرضته ظروف مناخية صرفة ، فمناخ الجزيرة العربية مناخ حار في معظم أو قات السنة ، ولذلك فمن البديهي أن يرتبط التكوين المعماري بالوظيفة التي أنشئ من أجلها ذلك المبنى . ويعتبر صحن المسجد من أهم عناصر التهوية والإضاءة ، فالفناء (الصحن) يُعرف علمياً بأنه يعمل كمنظم للحرارة[245] .

أما من حيث النسبة التاريخية فان العمارة العربية قد عرفت هذا النمط في البناء العتيق الذي يعود لمرحلة سابقة على الإسلام ، فمن المعروف في تاريخ اليمن القديم – مثلاً – بأن هذا الفناء (الصحن) قد وجِد في نماذج مختلفة ذات وظائف متعددة في العمارة ، ففي المعابد وجد هذا النمط بأرقى أساليب البناء كما هو الشاهد في معبد أوام[246] المعروف بـ (محرم بلقيس)[247] في مارب عاصمة دولة سبأ اليمنية القديمة ، وفي معابد أخرى يمنية تعود لما قبل الإسلام مثل معبد

---

245 – عثمان ، محمد عبد الستار (د) ، نظرية الوظيفية بالعمارة الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، (المرجع السابق)، ص372.

246 – فخري، أحمد ، رحلة أثرية إلى اليمن ، ترجمة : هنري رياض /د:يوسف محمد عبد الله ، مراجعة :د/ عبد الحليم نور الدين ،وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب (2/21) ،صنعاء،ط1409،1هـ/1988م.ص121.

247 – غلانزمان ،ويليام (د) ، نتائج أعمال الموسم الأول في محرم بلقيس ،مارب ،بواسطة المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان ،دراسات في الآثار اليمنية (من نتائج بعثات أمريكية وكندية)، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية.سلسلة الدراسات المترجمة-4،ترجمة :د.ياسين محمود الخالصي ، مراجعة وتقديم : د.نهى صادق.2001م ص287.

Scanned by CamScanner

عثتر في نشان [248]، ووجد كذلك في مبان وقصور قديمة مثل قصر (شقر) في شبوة عاصمة حضرموت القديمة أيضا[249].

إن معظم المساجد أخذت تخطيطاً مقتبساً من مسجد الرسول الكريم ﷺ ففيها جزء مسقوف يسمى (الظلة – السقيفة – الصفة[250]– بيت الصلاة[251] – الحمَّام[252]) وجزء مكشوف يسمى تجاوزاً (الصحن أو الرحبة[253] أو الضاحي[254]).

أن كثيراً من نماذج المساجد في العالم الإسلامي جاء على نفس الطراز، مقسمة إلى جزأين أولهما مسقوف والآخر مكشوف، كما هو الحال في الجامع الكبير بصنعاء الذي يعد من أقدم مساجد اليمن التي بنيت زمن الرسول ، حيث بعث بالصحابي وبر بن يحنس الأنصاري[255] ، والياً على صنعاء في عام (6هـ/627م) وأمره ببناء هذا المسجد[256]، وقيل بناه فروة بن مسيك المرادي بأمر

---

248 – بروتون ، جان فرانسوا ، نشان ، كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، معهد العالم العربي،باريس ودار الأهالي ،دمشق،1999م ، ص136.

(ويطلق عليه في العصور القديمة أوام) .

249 – سنييه ، جاك ، القصر الملكي بشبوة ، الهندسة المعمارية ، وتقنية البناء ، وتصور شكل المبنى ،(كتاب : شبوة عاصمة حضرموت القديمة ، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية ، إعداد: د/ عزة علي عقيل ، د/ جان فرانسوا بريتون ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ط1 ، 1996م ، ص62-77.

250 – سيف، علي سعيد،(د)، المسجد وأثره على العمارة والفنون الإسلامية ،(المرجع السابق)، ص64.

251 – بن خلدون ، عبد الرحمن ،(732-808هـ-1332-1406م) ، مقدمة ابن خلدون ، (المرجع السابق)،ص269، يقول : فأما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيتخذ سياجاً على المحراب فيحوزه وما يليه فأول من اتخذها معاوية بن أبي سفيان حين طعنه الخارجي...).

252 – يسمي أهل تريم الجزء المسقف المغطى من المسجد حماماً، وقد ورد في معظم الكتب التي كتبت تاريخ حضرموت بهذا المصطلح، ومازال إلى اليوم يقال له كذلك لدفئه واستخدامه في فصل الشتاء على وجه الخصوص.

253 – سيف، علي سعيد،(د)، المسجد وأثره على العمارة والفنون الإسلامية ،(المرجع السابق) ،ص64.

254 – تطلق كلمة الضاحي على الجزء المكشوف من المسجد في كثير من مناطق حضرموت والمعنى المقصود هو صحن المسجد أو رحبته.

255 – الحجري ، محمد بن احمد ، مساجد صنعاء عامرها وموفيها ، مكتبة اليمن الكبرى ،صنعاء،ط2،مطبعة دار إحياء التراث العربي ،بيروت 1361هـ ، ص23

256 – شيحة ، مصطفى عبد الله (د)، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية ،ط11408هـ/1987م،وكالة اسكرين ،القاهرة،ص29.

Scanned by CamScanner

الرسول ﷺ في بستان باذان[257]. وقيل غير ذلك . وكذا المسجد الأموي بدمشق الذي تبع تخطيطه النموذج النبوي (96هـ/ 715م)[258]وهو النموذج المعماري الإسلامي الرائع ، وكذا المسجد الكبير أو جامع الرَّقَّه ببغداد (155هـ/772م)[259]، وجامع شبام حضرموت الذي بُني في عهد هارون الرشيد سنة (170هـ/ 767م) أو في (215هـ/ 812م)[260]، وفي الجامع الكبير بشبام كوكبان المرتبط بالدولة اليعفرية(225هـ -393هـ) الذي بني قبل عام (300هـ/912م)[261] ومسجد حيبّله الذي تنسب عمارته إلى السيدة (أروى) بنت أحمد الصليحي التي تولت دفة الأمور في وقت عصيب من زمن الدولة الصليحية في اليمن في ما بين عامي (492-532هـ/1099-1138م) ، وقد أمرت في عام (480هـ/1087م)[262] بتحويل دار العز الأولى وهي قصر كبير إلى هذا المسجد القائم اليوم [263]. ومسجد قارة الصناهجة (673هـ/1295م)[264] وجامع هينن الذي بني سنة (795هـ/1392 م) وجامع سيئون الذي بناه الشيخ عبد الله بن محمد بن احمد با كثير المتوفى في حدود

---

257 – الحضرمي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ، ص54/ غاية الأماني ، يحيى بن الحسين ، ص64.

258 – شافعي ، فريد ، (المرجع السابق) ، ص 10.

259 – كريزويل ، ك، (المرجع السابق) ،ص 254.

260 – السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، (المرجع السابق)، ص271 / و المتداول أنه ابتناه الحسين بن سلامه الذي عُرف بأنه ابتنى الكثير من المساجد كما ورد في الأثر ، ويسمى جامع شبام باسم آخر وهو جامع هارون الرشيد ، ويشار إلى أن هارون الرشيد قد ابتناه (170هـ) ، وهذا يعني أنه بني في وقت سابق حيث أن هارون الرشيد توفى سنة 193هـ .(راجع : السقاف ، بن عبيد الله ، المرجع السابق) ،ص 271. وقد ورد أنه عُمر سنة 540هـ (راجع : الشلي ،المشرع الروي ، المرجع نفسه، ص35.)

261 – شيحه ،مصطفى عبد الله ،(المرجع السابق)، ص41.

262 – البركاوي ، عبد الفتاح عبد العليم ، (تقارير أثرية من اليمن) ج1، 1982م ، ص53 ،54.

263 – شيحه، مصطفى عبد الله ،(المرجع السابق) ص61.

264 – مواقع أثرية ، تقرير أولي عن مواقع مختارة للصيانة ، يونيو 1980م ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف،ص100، وقد يرد اسمها بالعامية كما يقال (السنهي ، السناهية) ولكن بعض المؤرخين يقولون أن اسمها " الصناهجة ":وهي قرية خربة شرق بلدة تاربة، ويقال أن منها قبيلة صنهاجة التي اشتركت في الفتوحات الإسلامية في أفريقيا و المغرب العربي وفلسطين والفيوم بمصر ومنهم الشاعر البوصيري صاحب " البردة " (راجع : با مطرف ، عبد القادر محمد ، كتاب الجامع السابق ذكره (طبعة الهيئة العامة للكتاب 1998م، ص278..

Scanned by CamScanner

سنة(920هـ/ 1514م)[265]، ومساجد كثيرة لا يسعنا الحديث عنها كانت على نفس المخططات الرئيسية (بيت الصلاة والصحن) .

فهذا الجزء من المسجد الذي به النواة الأولى التي انطلقت منها توسعاته شمالاً ثم شرقاً ، وفي هذا الجزء من الدراسة سنتعرض للتكوين المعماري لبيت الصلاة بشطريه الشمالي والجنوبي ، ومن ثم سنتطرق إلى المحاريب الأربعة ، ثلاثة منها في بيت الصلاة الجنوبي وواحد في بيت الصلاة الشمالي . ثم سنأتي على الأبواب والنوافذ ومن ثم الأساطين ، وأخيراً البوائك والعقود ببيتي الصلاة.

التكوين المعماري لبيت الصلاة:

يبلغ امتداد بيتي الصلاة شمالا بجنوب حوالى 30 متراً ، وتبلغ مساحة بيت الصلاة الشمالي 188 متراً مربعاً في حين أن مساحة بيت الصلاة الجنوبي – وهي أكبر قليلاً – تصل إلى 280 متراً مربعاً ، تحيط بهذه المساحات جدران سميكة حيث يتفاوت سمكها فيبلغ في الجدران الخارجية حوالى 80 سم وهي الجدران الشمالية والغربية ، أما الجدران الداخلية فأنها أقل سمكاً إذ تصل إلى 56 سم وهي الجدران الشرقية والجنوبية والجدار الفاصل بين بيتي الصلاة الشمالي والجنوبي .

يتألف بيت الصلاة من ثلاث بلاطات متساوية المسافة في كل بيت منها ، إذ تختلف المسافات بين أساطين بيت الصلاة الجنوبي عن المسافات بين أساطين[266] بيت الصلاة الشمالي.

---

[265] – السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، (المرجع السابق)، ص361.

[266] – رزق ، عاصم محمد (د) ،(المرجع السابق)، ص 17 . يعرف الأسطون، الاسطوان والاسطوانة بأنها : العمود أو السارية ، جسم صلب ذو طرفين متساويين على هيئة دائرتين متطابقتين تحصران سطحا دائريا أو ملفوفا يمكن متابعته بخط يتحرك ./ غالب ، عبد الرحيم (د)، موسوعة العمارة الإسلامية ، (المرجع السابق)، ص49.

Scanned by CamScanner

أما جدار القبلة في بيتي الصلاة فيحتوي على أربعة محاريب – وكما أسلفنا – فإن ثلاثة منها يقعن في بيت الصلاة الجنوبي ، الأيمن والأيسر من هذه المحاريب متشابهان في التكوين المعماري (شكل 7) وكذا من الناحية الزخرفية (الأشكال 9-13) ، أما المحراب الأوسط فإنه يختلف تماماً عن سابقيه معمارياً (شكل8) وزخرفياً (شكل 14) وسيتم تفصيل هذه الجوانب في موضعها لاحقاً .

أما عن أبواب بيتي الصلاة فنلاحظ أن ببيت الصلاة الجنوبي أربعة أبواب، ثلاثة منها تفضي إلى الجهة الشرقية باتجاه رواق القبلة المستجد والصحن ، وأما الباب الرابع فهو أصغرهن ويقع في نهاية الجدار الجنوبي باتجاه الشرق ويؤدي إلى الممر الضيق المتصل بملاحق المسجد من أماكن الطهور والحمامات والجوابي[267] ، أما بيت الصلاة الشمالي ففيه ثلاثة أبواب خشبية بمصراعين حُفِرَ على الأوسط منها نَصٌّ كتابي مؤرخ[268] . (لوحة 13) .

إن تصميم بيتي الصلاة هذين يجعلهما مفضلتين للاستخدام في أيام الشتاء (أيام البرد) ، أما في أيام الصيف فيتم استخدام الصحن ، لاسيما قبل وجود الكهرباء التي وفرت التكييف ووسائل تلطيف وتبريد الجو . ولهذا نجد أن تسمية الجزء الداخلي المسقوف من المسجد أو بيت الصلاة في تريم (الحَمَّامْ) ولا يعنون تشبيهه بالحَمَّام بمعنى المطاهير ولكنه أقرب إلى الشبه من الحَمَّام الشامي البخاري أو ما شابهه حيث يجعلون مكوثهم فيه في الأيام الباردة لدفئه . فلا تجد النوافذ الواسعة فيه ، ففي بيت الصلاة الشمالي بمسجد المحضار نجد ثلاث نوافذ[269]

---

267 – الجوابي ، مفردها جابية : وهي الحوض الضخم ، وهي أيضاً الحوض الذي يجيء فيه الماء للإبل ، وهي الحوض يجيء فيه الماء ، جمعها جواب وفي القرآن الكريم : وجنان كالجواب " ، وتبنى الجابية من الحجر والآجر وأشار ابن الرامي إلى استخدام الطابية أيضا في بنائها .(راجع : (عثمان ، محمد عبد الستار(د) ، الإعلان بأحكام البنيان ن لابن الرامي ، (المرجع السابق)، ص 152).

268 – بخصوص النص الكتابي راجع باب الزخارف والنصوص الكتابية .

269 – في المصطلح الأثري المعماري يطلق على الطاقة التي تخترق الحائط من جانب إلى آخر بغرض التهوية والإنارة أيا ما كان شكلها .و لم نقصد هنا الشبابيك التي تفتح وتغلق في معظم الغرف والبيوت .

Scanned by CamScanner

مرتفعة أعلى من مستوى النظر بنحو متر تقريباً وهي مُزجَّجَة وليست قديمة قدم الأبواب ، ومن خلال هذه النوافذ ينفذ النور إلى بيت الصلاة الشمالي رغم أنه يقع على شارع ضيق جداً ربما اقل من مترين فقط حيث يوجد بجواره منزل مرتفع البناء ، ولكن هذه الإضاءة التي تدخل تكفي لأن تصل إلى بيت الصلاة الجنوبي عند فتح الأبواب الفاصلة بينهما .

لقد تم بناء بيت الصلاة المضاف في الجهة الشمالية في زمن غير الزمن الذي بني فيه البيت الجنوبي الذي يُعَدُ (النواة الأولى للمسجد) ، إذ نجد الاختلاف واضحاً في هيئة البناء والتصميم من حيث التكوينات المعمارية والزمن التي تنتمي إليه ، فقد ظهرت بدلاً عن العقود المخموسة المدببة في بيت الصلاة الجنوبي عقودٌ نصف دائرية واسعة على بوائك مرتفعة وأساطين أقل سماكة من أساطين بيت الصلاة الجنوبي التي يصل نصف قطرها إلى نحو 60 سم و تتقارب فيها الأعمدة على مستوى البائكة الواحدة فتصل المسافة إلى متر ونصف المتر .(شكل17).

Scanned by CamScanner

أولاً: محاريب بيتي الصلاة:

المحراب:

جَمْعُهُ مَحَارِيْبْ ، صَدْرُ بَيْتٍ أو قاعة أو مجلس أو مصلى ، أرفع مواضعها وأكرمها ، قبلته أو مقام الإمام فيه . وقد أقيم المحراب في المسجد ليدل على اتجاه القبلة وليقوم بدور مضخم الصوت للإمام الذي يقوم مواجهاً له[270].

وقد عُمِل المحراب المجوف حتى لا يحتل الإمام وحده مكان صف كامل بينما المصلون خلفه خارج المسجد وعلى قارعة الطريق – كما في مسجد القيروان- وغيره من المساجد[271].

ولعل أقدم ما عرفته العمارة الإسلامية من المحاريب المجوفة هو ما اختلفت فيه آراء الباحثين بين قائل بأنه حدث في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة (11هـ/632م) على عهد أبي بكر الصديق ، أو في المسجد الأقصى بالقدس الشريف سنة(13هـ/634م)على عهد عمر بن الخطاب ، أو في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة سنة(24هـ/644م) على عهد عثمان بن عفان ، أو جامع القيروان سنة (50هـ/670م) على عهد عقبة بن نافع ،أو في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط سنة (53هـ/673م) على عهد مسلمة بن مخلد ، أو في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة سنة (65هـ/684م) على عهد مروان بن الحكم ، أو في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط سنة (79هـ/698م) على عهد عبد العزيز بن مروان ، أو في الجامع الأموي في دمشق سنة (86هـ/705م) على عهد الوليد بن عبد الملك، أو في المسجد النبوي بالمدينة سنة (90هـ/708م) على عهد عمر بن عبد العزيز ،

---

270 – غالب ، عبد الرحيم (د) ، (المرجع السابق) ، ص351.

271 – رزق ، عاصم محمد (د) ، (المرجع السابق)، ص263.

Scanned by CamScanner

أو في جامع عمرو بن العاص سنة (94هـ/ 712م) على يد قرة بن شريك في عهد الوليد بن عبد الملك[272] .

كما أسلفنا بأن بيتي الصلاة بمسجد المحضار تحوي أربعة محاريب ، ثلاثة منها في بيت الصلاة الجنوبي وواحد في بيت الصلاة الشمالي .

محاريب بيت الصلاة الجنوبي :

المحراب الأيسر :

وهو الذي يقع في نهاية جدار القبلة باتجاه الجنوب ، ويتوسط المسافة المقابلة للأسطونين الأول والثاني من البائكة الأولى من جهة الجنوب . وهذا المحراب هو الواقع في موضع المحراب الأول الذي أقيم مع تأسيس نواة المسجد الرئيسية ، إلا أنه من الواضح قد تم تغيير معالمه السابقة مع التجديدات التي حدثت بالمسجد . أما اتساع دخلته فتبلغ 70 سم وارتفاع بدنه حتى بداية الطاقية فيبلغ 180 سم وقد تم إنشاؤه –أيضاً- من الطين ، واستعمل في زخرفته إضافة إلى الطين مادة الاشنان التي سبقت الإشارة إليها ، لتجعل الطين صلباً متماسكاً ، وإذا قمنا برسم مسقط أفقي للمحراب لوجدناه مقوساً على شكل نصف دائرة مدببة الأطراف مستوية القمة (شكل 7) . وتتقدم المحراب (دخلة) وعلى جانبيها يوجد عمودان تبدأ قاعدتهما من على ارتفاع 25 سم وهما ملتصقان بالمقدمة ، ويرتفعان بشكل اسطواني عليه خطوط حلزونية غائرة تصل إلى مربع الأضلاع قرب عقد الطاقية المزخرف . أما بدن المحراب فعليه شكل مستطيل (يتوسط البدن) ذو قمة نصف

---

272 – رزق ، عاصم محمد (د) ، (المرجع السابق) ، ص264.

Scanned by CamScanner

دائرية مدببة ، يحتل مساحة ثلثي البدن من أسفله وعلى جانبي العمودين حزام مستطيل عليه زخارف نباتية.(شكل10)[273].

يلي البدن طاقية المحراب حدوية القمة المفصصة من الداخل ، والشكل المفصص ظهر في العقود بشكل منفصل أيضا،وقد أكد بعض الباحثين نسبة ابتكار هذا النوع من العقود إلى العراق[274]، وقد عُرفَ هذا النوع من العقود المفصصة في العمارة الساسانية ثم انتقل إلى العمارة الإسلامية المبكرة في القرنين (2-3هـ/ 8-9م) ووجدت أمثلته في الواجهة الخارجية لبوابة بغداد في مدينة الرقة (155هـ/772م). ، وهي أمثلة يتكون فيها من ثلاثة فصوص تعلو الحنايا المجوفة التي تزخرف أعلى الواجهة ،وقد ظهر هذا النوع من العقود في عمائر صنعاء المختلفة ، إذ نجده يقوم بحمل قبة الفليحي التي ترجع إلى القرن (8هـ/14م) . كما ظهر على المحاريب في هذه المدينة فقد توج حنية محراب قبة الفليحي ومحراب المسجد الجديد ومحراب قبة طلحة ومحراب مسجد الجلاء[275] . كما وجدت له أمثلة أخرى في شبابيك الضلع الجنوبي لجامع سامراء الكبير (234-236هـ/848-850م) يتكون فيها من خمسة فصوص ، ثم شاع استخدامه بعد ذلك في المغرب والأندلس وظهرت نماذجه في كل من طليطلة[276] وغرناطه[277] ، وكذا في جامع قرطبة[278]. وفي جامع ابن طولون[279] ويحيط بالطاقية حزام صغير عليه زخارف

273- راجع عن الزخارف الباب الرابع .

274 - سالم ، سيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج1،مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية،1985، ص70.

275 - غيلان ،غيلان حمود ، محاريب صنعاء حتى أواخر القرن(12هـ/18م)، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، 1425هـ/2004م، ص190.

276 - سالم ، السيد عبد العزيز(د)، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ، 1985م ، ص168 ،169..

277 - رزق، عاصم محمد(د) ، (المرجع السابق) ، 200،201.

278 - شافعي ،فريد محمود ،(المرجع السابق)،ص51 ،52./ سالم ، السيد عبد العزيز(د)، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، (المرجع السابق)، ص161.

Scanned by CamScanner

نباتية محورة.أما توشيحتا المحراب فإنهما مزخرفتان بزخارف نباتية محورة أيضاً . وفي أركان التوشيحتين حزام رفيع يصل عرضه إلى 15 سم ، وقد زخرف بزخارف نباتية و يعلوه أيضاً حزام عريض يصل عرضه إلى حوالى 60 سم عليه زخارف هندسية (لوحة 12) (الأشكال: 9-11). والواقع أن النصوص الكتابية غير موجودة البتة و التي قد نجدها مستخدمة في الكثير من المساجد في العالم الإسلامي وفي اليمن خاصة التي تستغل لتزيين المساحات والفراغات إلى جانب الزخارف المختلفة النباتية أو الهندسية أيضاً ، وربما هذه الميزة تنطبق على معظم مساجد حضرموت بشكل خاص حتى وان كان نوع الكتابة أو النص من الكتابة التوثيقية أو نصوص التأرخة التي قد نجدها على بعض المآذن أو في جانب من جوانب العمارة أو على بعض الأبواب أو غير ذلك . أما أقدم محراب عليه تاريخ في اليمن هو محراب جامع العباس في أسناف خولان والذي يرجع تاريخه إلى (519هـ/1126م)[280].

المحراب الأوسط:

وهو المحراب الذي يتوسط بيت الصلاة الجنوبي ، إذ يصل اتساع أسفله 75 سم وارتفاعه إلى بداية الطاقية 180 سم ، أما مسقطه الأفقي فيختلف تماماً عن المحراب السابق (الأيسر وكذا الأيمن) ، إذ أن مسقطه متدرج الشكل ذو التجاويف المتدرجة (شكل8) ويشبه هذا المحراب إلى حد كبير محراب جامع الخليفة في سامراء (232و245هـ/847 و861 م) بالعراق ، حيث تظهر التجاويف المتراجعة

---

279 – شافعي ،فريد محمود ،(المرجع السابق)،ص42 (الحنية الجدارية).

280 – غيلان، غيلان حمود ، (المرجع السابق)، ص 173.

Scanned by CamScanner

ذات المساقط المستطيلة التي تصغر تدريجياً نحو الداخل[281] . أما عن تكوين محراب مسجد المحضار المعماري إضافة إلى مقطعه المتدرج حيث تراه وكأنه أربعة محاريب متداخلة كل منها أصغر من الذي يليه بشكل منظور كالذي نراه في النوافذ الوهمية على جدران بعض المعابد القديمة في العمارة اليمنية . أما على جانبي دخلة المحراب فيوجد عمودان ترتفع قاعدتهما عن مستوى الأرض بنحو 30 سم ويرتفعان بشكل مضلع ، وقد قُسم إلى خمس فقرات متساوية في حين يعلو العمود تاج مكعب الشكل ، وعلى جانب كل عمود توجد مساحة تصل في كل جانب إلى 50 سم ترتفع إلى ما فوق قمة المحراب (قرب سقف المسجد) ، وهذه المساحة عليها بعض الزخارف النباتية والهندسية البارزة. أما البدن – كما أسلفنا- فإنه على هيئة محاريب متداخلة أصغرها هو أعمقها ويرتفع حوالى 80 سم وعرضه 30 سم، وهو حدوي مدبب القمة .أما الثاني فيليه من حيث العمق ويرتفع عنه بحوالى 4 سم وهو شكل مستطيل بطاقية حدوية مدببة أيضاً ، ويليه الثالث وهو مشابه لهما إلا أنه أكثر تحدباً في طاقيته التي بها شكل زخرفي هندسي، ويليه الشكل الخارجي للمحراب وهو ذو طاقية حدوية محدبة محاطة بشريط من الزخارف البارزة ثم شريط رفيع آخر عليه نقاط مطموسة بارزة متباعدة (فصوص) ، يلي هذا الشريط شريط آخر أكثر اتساعاً عليه زخارف هندسية بارزة يحدده من الخارج فصوص متباعدة.

أما التوشيحة أو البنيقة[282] فليس بها سوى دائرة محيطها على هيئة ضفائر وبداخلها دائرة بارزة مطموسة معقودة أيضاً ، وتتوسطها دائرة أخرى . ويعلو التوشيحتين شريط عريض عليه زخارف هندسية ونباتية .(لوحة 11) (شكل14).

---

281 – جمعة ، أحمد قاسم ، المحراب : رحلة أربعة عشر قرناً ، مجلة المنهل ، العدد 454، السنة 53 ، مجلد 48، ص 272.

282 – التوشيحة : هي البنيقة :وهو الجزء المثلث أو القطعة المثلثة المحصورة بين عقدين أو على المثلث الركني الذي يقع بين قوس العقد وضلعي المستطيل المحيط به ، (غالب ، عبد الرحيم ، المرجع نفسه، ص91) و (رزق، عاصم محمد ، المرجع السابق ، ص38) .

Scanned by CamScanner

المحراب الأيمن :

وهو المحراب الذي يتوسط بيتي الصلاة ، وهو المحراب الرئيسي للمسجد ، ولا يختلف في تكوينه المعماري وكذا في زخارفه عن المحراب الأيسر السالف الذكر .

محراب بيت الصلاة الشمالي :

وهو الذي يتوسط بيت الصلاة الشمالي المستجد ، وليس فيه أية زخارف أو تميز من الناحية المعمارية بحيث يمكن مقارنته مع أي من المحاريب الأخرى في المسجد أو في غيره ، إذ أنه مجرد دخلة في الجدار تؤدي غرض تقدم الإمام على المصلين فحسب . فمسقطه الأفقي مربع الشكل ويرتفع نحو 2 متر ، وليس له طاقية ولا تتقدمه دخلة أو أعمدة كما هو الحال في المحاريب السالفة .

ثانيا أبواب ونوافذ بيتي الصلاة:

توجد ببيتي الصلاة سبعة أبواب خارجية ، أربعة منها في بيت الصلاة الجنوبي تفضي ثلاثة منها باتجاه الشرق إلى صحن المسجد ورواق القبلة المستجد، أما الباب الرابع فيؤدي إلى الملاحق عبر ممر ضيق ، وفي بيت الصلاة الشمالي توجد ثلاثة أبواب تفضي هي الأخرى إلى رواق القبلة المستجد وصحن المسجد . وهي في نفس الجدار الشرقي الذي عليه الأبواب الثلاثة لبيت الصلاة الجنوبي ، إذ تقع الستة جميعها على امتداد واحد . وجميع هذه الأبواب تتألف من مصراعين خشبيتين مزخرفتين ، أما الباب الذي يقع في بيت الصلاة الجنوبية حيث يوصِلُ إلى

Scanned by CamScanner

الملاحق وأماكن الطهارة عبر الممر الضيق في الجنوب فيتألف من مصراع واحد فقط.

وتوجد أبواب ثلاثة أخرى بين بيتي الصلاة الجنوبي والشمالي في الجدار المتعامد بينهما على جدار القبلة ، وهذه الأبواب الثلاثة يتكون كل منها من مصراعين خشبيين مزخرفين بزخارف هندسية غالباً . أما الباب الأوسط من هذه الأبواب فتعلوه حشوة خشبية مزخرفة بزخارف محفورة مختلفة . (لوحة 13) (الأشكال 15 ، 16) ، ويتوسطها نصٌ كتابيٌ مؤرخ [283].

أساطين بيتي الصلاة:

ببيتي الصلاة عدد من الأساطين يبلغ عددها عشرين أسطونا ، ترتكز عليها العقود مؤلفة بذلك البوائك التي تحمل السقف ، وهذه الأساطين تختلف في بيت الصلاة الجنوبية عنها في بيت الصلاة الشمالي ، وذلك لاختلاف العصر الذي بنيت فيه ، إذ بُنيت منذ ما ينيف على 500 عام تقريباً ، فنلاحظ أن الأساطين في بيت الصلاة الجنوبي (نواة المسجد المؤسس في القرن التاسع) كبيرة إذ يصل قطرها إلى نحو 60 سم علاوة على اقتراب المسافة فيما بين الأساطين فتصل إلى متر ونصف تقريباً وقد غُشِّيَتْ هذه الأساطين بالطين ، وهي في الواقع مبنية من المدر (الطين المجفف) ومن ثم غُشيت بالنورة أو الجير المطفي كما هي العادة إلى وقتنا الحاضر بعموم حضرموت ، فأضحت كأنها قطعة واحدة لا زخارف فيها ولا تتوج قمتها تيجان واضحة ، ولكنها تلتصق مباشرة بعقود مخموسة ،إذ يصل ارتفاع الأسطون من أرضية بيت الصلاة وحتى بداية العقد 1,80 سم . (شكل 17).

---

283 – على هذا الباب كتب نصٌ بحساب الجُمَلْ .. انظر الزخارف والنصوص في نهاية الكتاب.

Scanned by CamScanner

أما أساطين بيت الصلاة الشمالي فأنها أقل قطراً إذ يصل إلى 40 سم فقط ، وترتفع حوالى 2,20 سم إلى بداية تاج صغير مربع القاعدة على هذه العمدة المُغشَّاة بالطين والنورة وهي ملساء ناعمة وغير مزخرفة ، ترتكز على عقود نصف دائرية عريضة واسعة مدببة القمة . وتصل المسافة بين كل عمود وآخر في البائكة الواحدة إلى 2,5 متراً .

بوائك وعقود بيتي الصلاة :

إن أساطين بيتي الصلاة التي يبلغ عددها عشرين أسطونا ، حيث تقع كل عشرة منها في صف مؤلفة بذلك بائكتين ممتدتين شمالاً بجنوب ، فتكون بذلك ثلاث بلاطات على طول بيتي الصلاة الجنوبية والشمالية.

إن عقود وبوائك بيت الصلاة الجنوبي أكثر متانة إذ أنها احتلت حيزاً كبيراً من مساحة بيت الصلاة القديم وهو معهود في معظم المساجد القديمة ، ولعل أكبر ما شهدناه من كبر اتساع قطر الأعمدة أو الأساطين التي تحمل السقف والبوائك هو الموجود في مسجد العيدروس بمدينة الشحر بساحل حضرموت إذ يزيد اتساع قطر الأسطون عن المتر تقريباً . ففي بيت الصلاة القديم(الجنوبي) بمسجد المحضار يزيد اتساع قطر الأسطون عما هو عليه في الجهة الشمالية والصحن ، وهذه الزيادة التي تحمل فوقها البوائك العريضة والعقود الضيقة الثقيلة جعلت المساحات بين البلاطات وبين الأساطين في البائكة الواحدة قليلة . حتى أنها – كما أسلفنا- أضحت لا تتعدى المتر والنصف .

إن عقود بيت الصلاة الجنوبي عقود من النوع المدبب المخموس، فقد صنعت صنجها من المدر المجفف كما هو الحال في كل أجزاء المسجد ، ثم غشيت هي الأخرى بالنورة ، ولا توجد عليها أية زخارف سواءً بالبوائك أو العقود ألبتة ،

Scanned by CamScanner

حيث لا توجد الزخارف في بيتي الصلاة في منطقة خارج نطاق المحاريب والأبواب فقط . وعقود هذا البيت سبعة في كل بائكة ، وفي بيت الصلاة الشمالي خمسة عقود في كل بائكة .

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث

صحن المسجد

وأروقته الأربعة المستجدة

إن المسجد الأول الذي أقامه الرسول ﷺ كان متواضع التصميم ، زهيد المواد ،فأرضه كانت من تراب ، ثم من حصى ، وهكذا كان مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط[284] ، ليس هذه المساجد فحسب كانت على نفس النمط بل كان ذلك في معظم المساجد في كل بقاع العالم الإسلامي ، فهي تتخذ نفس الشكل العام تقريباً مع بعض الاختلافات الطفيفة ، والسبب في ذلك بساطة الحياة وقناعة أهلها ، فقلما توضع مثل تلك الأمور ضمن أولويَّات الحياة كتزيين المباني والتباهي بما فيها من أثاث أو غير ذلك ، فما بالك بالمساجد ، فالنظرة في ذلك الوقت تختلف عما هي عليه اليوم ، فالمساجد كما نعلم بيوت الله أسست للعبادة والتفرغ للعلم الديني والابتعاد عن زخرف الحياة ومباهجها، فهذا في واقع الحال يتطلب التقشف وترك مظاهر البذخ التي نعهدها في هذا الزمان ، ولهذا كانت معظم المساجد القديمة بسيطة في مبناها ، توفر الهدوء وتساعد على الاختلاء وصفاء النفس ،إذ لا يوجد فيها ما يلفت الأنظار ويشتت الأذهان ، وهو القصد الفعلي والغاية الحقة منها .

أما سبب اختيار تلك التصاميم المعمارية التي يكون الصحن فيها محاطاً بأروقة جانبية إضافة إلى رواق القبلة والرواق المقابل لرواق القبلة فبالتأكيد للبيئة

---

284 – غالب، عبد الرحيم ،(المرجع السابق) ، ص381.

Scanned by CamScanner

العربية دور كبير في ذلك ، فالحرارة ربما تكون هي الدافع الأول لهذا التصميم ، ولعلنا يجب أن نُذكّرْ بأن هذا التصميم قد عرفه العرب قبل الإسلام ونجده في أشهر معابد اليمن (معبد أوام) المعروف بمحرم بلقيس في مارب عاصمة دولة سبأ اليمنية ، ويظهر فيه صحن مربع الشكل محاط بأعمدة كان يغطيها سقف قرب المدخل المؤدي إلى الفناء البيضوي[285]، وهذا نموذج واضح (لبهو الأعمدة) أو للأروقة التي تحيط بالصحن التي تعود لعصر ما قبل الإسلام ، وليس عيباً أن يستمر ذلك، كما لا ينقص شيئاً من مبادئ الدين إن هو أخذ واستلهم ما كان سابقاً لعصره لا سيما في أمور كهذه ، فقد استمرت سلوكيات وعادات حميدة من العصور السابقة على الإسلام وأقرّتْ ، ،وكما علمنا فثمَّة مساجد ظهر في تكوينها المعماري الصحن الذي استخدم في أوقات الصيف غالباً ولكنه أصبح تقليداً ينطبق حتى على المناطق الباردة طوال السنة ، وقد سردنا نماذج من المساجد والجوامع التي اتخذت هذا النمط المعماري اقتداء بمسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة .

أما صحن مسجد المحضار بتريم فيشغل حيزاً من المساحة الكلية للمسجد التي تبلغ نحو 1368 متراً مربعاً ، وتصل مساحة الصحن إلى 567 متراً مربعاً وهو أقرب إلى مستطيل الشكل ضلعاه الكبيران هما واجهة كل من رواق القبلة والرواق المقابل له ، أما الضلعان الآخران فهما واجهتا الرواقين الجانبيين ، وهذه الأروقة المستجدة تحيطه من الجهات الأربع ، وأكبرها هو رواق القبلة الذي يتألف من ثلاث بلاطات ، في حين تتكون الأروقة الثلاثة الأخرى من بلاطة واحدة مكونة ممرات جانبية وخلفية للصحن ، يصل اتساعها إلى 1,5 متراً ، ويغطي هذه الأروقة الأربعة سقف عالٍ استعمل فيه الخشب بقلة ، إذ كان الاعتماد على المدر في التسقيف بين البوائك على هيئة جملونات (ويسمى باللهجة الحضرمية جملول)

---

285 – غلانزمان ،ويليام (د) ، (المرجع السابق)، ص269.

Scanned by CamScanner

أي أشبه بقباب تبنى متدرجة بالمدر ، وهي عادة التسقيف القديمة في معظم المباني الحضرمية .

يبلغ عدد أساطين رواق القبلة 30 أسطونا ، يصل قطر الواحد منها إلى 50 سم ، أما المسافة بين كل عمود وآخر فتصل إلى 2،5 متراً . وفي الرواقين الجانبيين فإن كل رواق منهما يحتوي على ستة أساطين . وفي نقاط التقائهما مع رواق القبلة والرواق المقابل توجد دعامات مربعة بُنيت من المدر أيضاً ، ويصل طول كل ضلع من أضلاعها إلى 60 سم . إلا أن الرواق المقابل الذي تتوسطه قاعدة المئذنة توجد به أربعة أساطين فقط كل اثنين منهما على جانبي المئذنة . ويتباعدان بمسافة تزيد قليلاً عن المسافة بين أساطين الأروقة الأخرى .

ومن المرجح أن الأروقة ذات الأعمدة العديدة قد شكلت المساجد الأولى في اليمن ، و حولت فيما بعد إلى مساجد ذات أروقة[286] ، وهو ما حدث في الكثير من مساجد حضرموت ، ومن أهمها مسجد المحضار - الذي كان يتكون من بيت للصلاة قبل توسعته ، إذ لم يتم إنشاء الصحن الكبير وأروقته الأربعة المستجدة إلا في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري . وهو النمط الذي ساد في العالم الإسلامي بشكل عام ، حيث يتألف المسجد من جزء متوسط (الصحن) ، وتحيط به أروقة ثلاثة بوائكها متساوية في العدد ، أما الرواق الرابع فهو أكبرها الذي يضم الحرم وهو متجه نحو القبلة وفيه المحراب ، وتغطى الأروقة بسقوف مستوية محمولة على عقود أو أقواس[287] ، وهذه الأسس وجدت في أغلب المساجد في كثير من بقاع العالم الإسلامي كما رأينا .

---

[286] - فينتسر ، ب ،(عمارة المساجد) العمارة الإسلامية ، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف ، صنعاء ، مجلد 2 ،ط1 ، 1992م ، ص681.

[287] - هنسي ، عفيف ، العمارة عبر التاريخ ، ط1 ، 1987م ، ص 170.

Scanned by CamScanner

رواق القبلة:

وهو أكبر الأروقة جميعاً إذ يتألف من 30 عموداً وثلاث دعامات ، وعمقه حوالى 8 أمتار ، وهو الجزء المستحدث بعد بيت الصلاة القديم والآخر الشمالي ، ومن هذا الرواق – وفي جدار القبلة – تنفذ ستة أبواب خشبية ، كل باب منها ذو مصراعين ، وهي التي تربط الرواق ببيتي الصلاة الشمالي والجنوبي ، وثمَّة بابان يوصلان إلى الملاحق ومواضع الوضوء والطهارة في الجهة الجنوبية ، إذ يقع في نهاية جدار القبلة لهذا الرواق وفي أقصى الجنوب.

أما جدار القبلة فإنه يحتوي على محرابين ، أولهما يميل قليلاً إلى الجنوب ،بحيث يقع بين الأسطونين الخامس والسادس من جهة الجنوب (شكل 1).

أما أساطين هذا الرواق فأنها أكثر اتقاناً من أساطين بيتي الصلاة ، فهي جيدة من حيث استقامتها وتغشيتها بالنورة الناعمة ، وتحمل هذه الأساطين عقود مدببة مشمورة ، وتصل المسافة بين كل أسطون وآخر إلى 2،5 متراً ، وارتفاع الأسطون حتى بداية التاج المربع 2،25 متراً ، وجميع أساطين الرواق ليس لها قواعد ، وكذا بقية أساطين الأروقة الأخرى بالمسجد.

محرابا رواق القبلة:

إن محرابي رواق القبلة لا يختلفان معمارياً عن المحرابين الأيمن والأيسر من محاريب بيت الصلاة الجنوبي ، إلا أنهما قليلا الزخرفة ، أما طاقية كل المحرابين فإنهما أكثر تحدباً في نفس الوقت ولهما فصوص من الداخل عددها سبعة فصوص ، يعلوها هلال[288] مفتوح تتوسطه جامة بارزة[289].

---

[288] – لقد ظهر الهلال كعنصر زخرفي لأول مرة في الفنون الإسلامية مع نجمة حماسية على الدراهم التي ضربها كل من معاوية وزياد ابني ابي سفيان ويزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان على الطراز الساساني ، واستمر ظهوره على السكة حتى العصر المملوكي حيث وجد ضمن العناصر المنقوشة على عملة السلطان الظاهر برقوق (787-801هـ/1385-1398م) وابنه الناصر فرج (801-

Scanned by CamScanner

الرواقان الجانبيان :

يتداخل رواق القبلة من الجهتين الشمالية و الجنوبية بروواقين يتألف كل واحد منهما من بلاطة واحدة وبائكة تحمل عقوداً تقوم على ستة أساطين ودعامتين إحداهما هي نقطة التقاء رواق القبلة بالرواق الجانبي والأخرى تكون نقطة التقاء الرواق الجانبي مع الرواق المقابل لرواق القبلة.

ليس ثمة اختلافاً كبيراً بين الرواق الجانبي الجنوبي عن الرواق المقابل له وهو الرواق الجانبي الشمالي سوى وجود المزيرة في منتصفه تقريباً ، ولذا فإننا سنبدأ بالرواق الجنوبي، ومن ثَم سنعطي أهم المعالم والفوارق التي في الرواق الشمالي مع أطواله وقياساته الداخلية (لوحة14).

يمتد الرواق الجانبي الجنوبي من بداية الدعامة الغربية ذات المسقط المربع الشكل تجاه رواق القبلة وحتى الدعامة الشرقية التي تجعله يلتقي مع الرواق المقابل لرواق القبلة ، فيبلغ هذا الامتداد حوالى 21 متراً باتساع 1،5 متراً من بداية الجدار حتى بداية الصحن شمالاً ، ولكنه متسع في الجهة الغربية عند التقائه برواق القبلة ، وهذا الاتساع يقابل المدخلين اللذين يوصلان إلى أماكن الطهور و المطاهير والملاحق الأخرى (شكل1).

808هـ/1398-1405م) ، كما وجد ضمن زخارف سروج الخيل الفاطمية في مصر طبقاً لما وجد في مخلفات الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1021-1036م) واستعمل في ذات الحقل أيضاً خلال العصرين السلجوقي والعثماني.(راجع : رزق، عاصم محمد ،(د)، المرجع نفسه) ، ص371 ،318.

289 – الجامة في المصطلح الأثري جاء في العمارة المملوكية ليدل على شكل دائري أو بيضاوي – غالباً- تحيط بها من الجانبين وحدات زخرفية ذات عناصر نباتية أو هندسية في أوضاع متماثلة أو متناظرة (راجع: رزق ، عاصم محمد (د) ، المرجع نفسه) ص63.

Scanned by CamScanner

في هذا الرواق توجد آثار (مزيرة) [290] لتبريد مياه الشرب في الأزيار [291] ،وقد ظهرت هذه المزملة أو المزيرة في المساجد والمدارس الإسلامية في العالم الإسلامي بشكل عام ومنها ما يوجد في مسجد قجماس الاسحاقي (885-886هـ/1480-1481م) وكذا في مدرسة أبي بكر مزهر (883-884هـ/1479-1480م)[292] وغيرها ، وكذا في معظم مساجد حضرموت القديمة ، أما في مسجد المحضار فتحتل المسافة في الجدار الجنوبي عند بداية الأسطون الثالث وحتى منتصف الأسطون الرابع من جهة الغرب ، وليس لهذه المزيرة تكوين معماري غائر في أصل الجدار ، ولكن هذه المساحة منخفضة عن سطح الرواق باتجاه الجدار الجنوبي حيث توجد فتحة صغيرة لتصريف المياه المنسابة من موضع المزيرة نحو المزرعة أو الحوش التابع للمسجد[293] . وهذه المزيرة لم تعد تستعمل اليوم لنفس الغرض بأدواتها العتيقة (الأزيار) ولكن تم وضع برادات كهربائية في موضعها .

توجد في الجدار الشمالي للرواق نفسه شبابيك تعلوها نوافذ أو فتحات عددها 15 شباكاً ومثلها نوافذ بنفس الأطوال والأعماق وتختلف النوافذ (شكل 3) عن الشبابيك (شكل4) إذ أن الشبابيك توجد عليها إطارات خشبية أو براويز تتخللها طولياً أسياخ حديدية يبعد بعضها عن بعض بما لا يزيد عن 10 سم ، أما اتساع

---

290 – المزيرة أو المزملة : يأتي لفظ المزملة في المصطلح الأثري للدلالة أصلا على قدر أو جرة من الفخار كانت تكسى أو تلف بالقماش المبلول لحفظ الماء فيها بارداً بغير تعفن ، ثم أطلقت التسمية بعد ذلك على مكان وضع هذه القدور أو الجرار ، (راجع : رزق ، عاصم محمد ، المرجع نفسه، ص278- 279.

291 الأزيار : جمع زير وهو الجرة الكبيرة المصنوعة من الفخار أو الطين المحروق وتستخدم لتبريد الماء أو لحفظ بعض المواد الغذائية كالتمر والحبوب وغير ذلك ، وهي من أقدم المواد التي صنعها الإنسان في حياته .

292 – رزق ، عاصم محمد ، (المرجع السابق) ،ص 279.

293 – يطلق على المزرعة (حَرَبْ) في ترعم خاصة ، وهذا المصطلح جاء من كلمة (حِرْبَة)وكذا يسمونها في المناطق الشمالية لليمن ، أما في بعض المناطق الأخرى يسمونها (حِيْطْ) كما في مدينة سيئون ومناطق أخرى . / ويقال الحِربةُ : بكسر الجيم ك البقعة الكبيرة الخصيبة المحددة من بقع الأراضي الزراعية المختلفة . وتنطق في لهجة محدودة بضم الجيم .(راجع : الارياني ، مطهر علي ، المعجم اليمني في اللغة والتراث ، دار الفكر ،دمشق ، ط1417،1هـ/1996م،ص129_135.

Scanned by CamScanner

فتحة هذه النوافذ أو الشبابيك فتصل إلى 60 سم وارتفاعها حوالى 1,30 متراً وهذه الشبابيك والمداخل مستطيلة الشكل تنتهي قمتها بقوس مدبب (الأشكال 3،4) ، أما النوافذ فأنها مفتوحة بلا شباك أو زجاج .

أما الرواق الجانبي الشمالي – كما أسلفنا – فلا يختلف عن الرواق الجانبي الجنوبي سوى في بعض الزيادات التي لاحظناها في الرواق السابق من الناحية الشمالية عند التقائه برواق القبلة فقط ، وكذا فإن هذا الرواق ليس به مكان للمزيرة كالتي وجدناها في الرواق الجنوبي ، وكلا الرواقان مسقوفان بسقف جملوني من جذوع الأشجار كالعلب (السدر) أو جذوع النخل إضافة إلى المدر المغشى بالنورة.

الشرفات:

والشرفة[294] تعد عنصراً أصيلاً من عناصر العمارة الدفاعية في الأسوار والقلاع والأبراج ، وهي حجارة تبنى متقاربة في أعلى السور وحوله ليحتمي وراءها المدافعون ويشرفون على المهاجمين يطلقون عليهم السهام، وكل زخارف تشبهها سواء أكانت على مبنى أم على خزانة أم على منبر تسمى شرفة[295]. وقد استخدمت للدلالة على ما يوضع على أعالي القصور وأسوار المدن وواجهات المساجد والخانقاوات ونحوها من العمارة الأثرية الإسلامية ، وكانت تبنى من الحجر أو الآجر في العمارة ، ومن الخشب أو المعدن في الأبواب الخشبية أو المصفحة بالنحاس ، ومن تلبيسات ملونة متداخلة في الرخام ، ومن صِنَج مُعشَّقة في العقود المزرَّرة. وأول ظهور لهذه الشرفات في العمارة الإسلامية عامة كان

---

294 – الشرفة : هي نهاية الشيء أو حافته ، وقد استخدمت للدلالة على ما يوضع على أعالي القصور وأسوار المدن وواجهات المساجد والمدارس والخانقاوات ونحوها من العمائر الأثرية الإسلامية . (راجع: رزق ، عاصم محمد ، المرجع السابق ، ص 161).

295 – وزيري ، يحيى ،(م.د) ، (المرجع السابق)، 147.

Scanned by CamScanner

في بداية القرن(2هـ/8م) في بوابة الحير الغربي الذي أنشىء سنة (109هـ/727م)، وفي بوابة قصر الحير الشرقي الذي أنشىء بعده بعام سنة (110هـ/728م) وكلاهما يرجعان إلى عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[296] .

يتوج قمة واجهات أروقة مسجد المحضار من جهة الصحن ومن الجهة الخارجية شرفات متدرجة ذات قمة رمحية ، وهذه الشرفات من هذا النوع نلاحظها تتوج جميع جدران المسجد من أعلى السطح (لوحة16،4) (شكل20) . والشرفات المتدرجة ذات القمة الرمحية هذه نجدها كذلك في معظم المساجد القديمة في حضرموت ومنها على سبيل المثال الشرفات التي تعلو جدران جبانة تريم التي بناها راشد بن شجعنه سنة (566هـ[297]/1171 م) وعلى بعض القصور والمباني السكنية أيضاً ،ومنها الشرفات التي تتوج قصر السلطان الكثيري بمدينة سيئون .

هذان الرواقان يقومان على عقود مدببة مشمورة تؤلف كل سبعة منها بائكة تشرف على الصحن ، وتماثلها عقود الرواق الجانبي المقابل لها (لوحة14) (شكل18).

الرواق المقابل لرواق القبلة:

وهو الرواق الذي يقع في نهاية المسجد من الجهة الشرقية ، وهو في نفس الوقت الذي يمثل جداره الشرقي الذي يشرف على خارج الواجهة الشرقية الرئيسية للمسجد ، حيث تتوسطه المئذنة التي تعد تحفة هذا البناء وأجمل إبداعاته . و يبلغ

---

296 – رزق، عاصم محمد ،(المرجع السابق)، ص 161.

297 – شنبل ، أحمد بن عبد الله ،(المرجع السابق) ، ص45. / الحامد ، صالح ، تاريخ حضرموت،ج2 ، (المرجع السابق)، ص408. وكذا ورد في ص 448.

Scanned by CamScanner

طول هذا الرواق 31 متراً شمالاً بجنوب ويتألف من بلاطة واحدة وبائكة تحملها عقود مدببة مشمورة تقوم فوق أساطين أربعة ، أما في وسط الرواق فتقوم قاعدة المئذنة مربعة الأضلاع إذ تحتل مسافة من طول الرواق تصل إلى أربعة أمتار ، أما جدار المئذنة فهو أكثر سمكاً ويلتحم بالرواق ويبرز باتجاه الصحن بمسافة نصف متر تقريباً ، ولكنه لا يقطع الرواق كاملاً ، إذ يوجد ممر يوصل بين طرفي الرواق نفسه (شكل1) ، ويقع في هذا الرواق البابان الرئيسيان للمسجد من جهة الشرق ، ويقع كل منهما على جانبي المئذنة أي بين المئذنة ونهاية الرواق تقريباً ، ويتكون كل باب من مصراعين خشبيين مزخرفين ، في حين يتوج كل مدخل من هذين المدخلين جوسق[298] رائع الهيئة (لوحة 3،4) . ولهذا الرواق كغيره من الأروقة الأخرى الجانبية شبابيك ونوافذ يبلغ عددها 12 شباكاً يعلو كل منها نافذة مفتوحة (شكل3،4).

---

298 – الجوسق : يأتي لفظ جوسق في المصطلح الأثري المعماري للدلالة على الدورة الأخيرة ذات الأعمدة المفتوحة في المئذنة المملوكية البرجية بشكل خاص ، لأن المئذنة بشكلها المعماري المألوف لنا لم تكن معروفة زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذا كان مسجده بالمدينة خالياً منها.(راجع: رزق ، عاصم محمد ، (المرجع السابق) ص69.

Scanned by CamScanner

الفصل الرابع

الواجهات والمداخل والشبابيك

أولاً : الواجهات :

إن أهم ما يميز مسجد المحضار وأعظم خواصه التي جعلت منه معلماً بارزاً في العمارة الدينية الإسلامية اليمنية هو واجهته الأمامية الرئيسية ، بما فيها من تناسق وتناظر وتماثل في مكوناتها المعمارية ، إضافة إلى شموخ المئذنة السامقة في منتصف هذه الواجهة وهندستها وتناسق تكويناتها ، ولعل المهم في ذلك كله البناء هذا من مادة الطين كعنصر رئيسي يقاوم متغيرات الزمن وينسجم بلا أدنى شك مع البيئة نفسها لكونه مستخلصاً منها . كل ذلك جعل مسجد المحضار بتريم يحظى بمكانة مرموقة بين فنون العمارة الإسلامية اليمنية كإبداع تتكامل فيه عناصر متناسقة ومادة أصيلة أثبتت مقاومتها للمتغيرات والظروف الطبيعية .

تمتد هذه الواجهة في الجهة الشرقية بنحو 36 متراً وترتفع قمتها عن مستوى أرضية الشارع بنحو 11 متراً . أما الواجهة المقابلة لها من الناحية الغربية، وهي واجهة المسجد التي تمثل خلفية جدار القبلة لبيتي الصلاة فأنها أقل ارتفاعاً وأقل جمالاً إن لم نقل أنها مجرد حائط مبنى يفي بغرض إكمال البناء ليس إلا ويرجع السبب في ذلك لكونها تلتصق ببعض المباني والمساكن في تلك الجهة

Scanned by CamScanner

مما قلل من أهميتها عند البناء ، ويؤكد ذلك أن المباني المجاورة تم إنشاؤها قبل تجديد عمارة المسجد الكبيرة ، وتمتد هذه الواجهة بطول 29 متراً أي أقل من الواجهة الشرقية ، وهي أقل ارتفاعاً أيضاً من الواجهة الشرقية نتيجة لعدم استواء الأرضية التي بُني عليها المسجد فهي تنحدر كثيراً كلما اتجهنا نحو الشرق ، لهذا يصل ارتفاع الجدار الغربي للمسجد إلى ارتفاع نحو 7,5 متراً .

أما الواجهتان الشمالية والجنوبية فإنهما كذلك لا يرقيان إلى مستوى الواجهة الشرقية ، فالواجهة الشمالية التي تمتد طولاً بمسافة حوالى 38 متراً حيث تتدرج في ارتفاعها بين 11 متراً شرقاً إلى 7,5 متراً في الجهة الغربية ، لذا تم بناء فناء مستطيل من جهة في هذه الجهة يمتد من الغرب إلى الشرق باتساع نحو ثلاثة أمتار إلى أكثر من منتصف المسافة نحو الشرق ليكون الدخول إلى المسجد من أبوابه الشمالية سهلاً ، ولكي تتساوى المداخل بحكم ضيق المساحة التي تشرف عليها هذه الواجهة الشمالية التي تجعل من المتعذر إقامة سلالم واسعة وأكثر امتدادا كما هو الحال في الواجهة الشرقية (شكل 1، 2).

أما الواجهة الجنوبية المقابلة للواجهة الشمالية وهي الواجهة التي تشرف على المزرعة التابعة للمسجد أو (الجَربْ)، فان هذه الواجهة تكاد تكون متدرجة لوجود بعض الملاحق المتصلة بها عند طرفها الغربي ، مما يقلل من امتدادها كجدار واحد مستقيم ، أما من ناحية طول جدارها وامتداده فيمتد كامتداد الواجهة الشمالية فهي تتدرج إلى الداخل كلما اتجهنا شرقاً ، إذ تمتد فيما بعد باستقامة عند بداية الرواق الجانبي الجنوبي المطل على الصحن من الغرب إلى الشرق ، وفي هذا الامتداد تتوزع النوافذ والشبابيك على مسافات منتظمة ، فيبلغ عدد نوافذها 15 نافذة إضافة إلى ما يماثلها من شبابيك كما في الواجهات الأخرى . أما في الجزء الجنوبي لرواق القبلة فتوجد أربع نوافذ علوية صغيرة تطل على المزرعة .

Scanned by CamScanner

يعلو جميع هذه الواجهات الخارجية والداخلية للمسجد صفان من درابزين ، ومن ثَمَّ تتوج الواجهات بشرفات متدرجة ذات قمة رمحية ، وهذا النوع من الشرفات منتشر في العمارة الحضرمية ، فتوجد نماذج منه في بعض القصور كقصر السلطان الكثيري بمدينة سيئون وبعض البيوت الكبيرة بمدن وادي حضرموت خاصة . (لوحة 4) (شكل 20) .

الواجهة الرئيسية الشرقية :

كما سبق الإشارة إلى هذه الواجهة التي هي أهم واجهات المسجد وأكثرها إبداعاً وإتقاناً (لوحة1) (شكل2) ،إذ تمتد شمالاً بجنوب بطول 36 متراً وبارتفاع 11 متراً ، وتتوسطها المئذنة السامقة التي تبلغ أضلاع قاعدتها المربعة 4×4 متراً (لوحة 5) ، ويصل ارتفاعها إلى 175 قدماً في تدرج يضيق كلما ارتفعت إلى الأعلى مكونة خمسة مستويات فيما بين القاعدة والجوسق الذي تتوجه خمس قبيبات صغيرة . و هذه المئذنة تشبه في وضعها عند قاعدتها مئذنة جامع القيروان الذي بناه عقبة بن نافع سنة (50-55هـ/670-674م)[299]وأتم بناءه الأمير أبو إبراهيم أحمد سنة(248هـ/862-863م)[300]. وعلى جانبي المئذنة يوجد المدخلان الرئيسيان اللذان يمكن الوصول إليهما عبر سلالم جانبية من الجهتين الشمالية والجنوبية . ثم يتجه إلى سلم آخر عدد درجاته أربع فقط ، وعلى جانبها دكة مرتفعة[301] تمتد على طول الواجهة ، وكذلك فإن المدخل الآخر الذي يقع في الجهة الأخرى من المئذنة يماثل تماماً المدخل السالف الذكر بسلالمه ويتقدم كل مدخل منها ظلة يتوجها

299- رزق ، عاصم محمد(د) ،(المرجع السابق) ،ص 307 ، 941.

300 - كريزويل،ك ، (المرجع السابق) ،ص390.

301 - هذه الدكة أشبه ببلكونة ممتدة على طول الواجهة ، ولكن لا يحيطها جدار أو درابزين أو خيش كما يسمونه في حضرموت ، ولكن حدودها ذات ارتفاع بسيط (ردود الماء) كما يقال .

Scanned by CamScanner

جوسق (لوحة 3،4) . كما أن لهذه الواجهة عشرة شبابيك ومثلها نوافذ تعلوها بنفس التصميم كل خمسة منها على جانب المئذنة التي تفصلها عن بعضها (شكل 3،4).

الواجهة الغربية:

هذه الواجهة التي تمتد شمالاً بغرب بطول حوالى 29 متراً حيث تلاصقها الحمامات ومواضع المطاهير عند نهايتها الشمالية ، وبحكم وقوعها بجوار المنازل والبيوت التي تكاد تلاصقها فأنها لم تلق اهتماماً كبيراً كالواجهات الأخرى ، إضافة إلى أن عدم وجود مداخل أو أبواب أو شبابيك فيها قد قلل من الاهتمام بها. فهي الجدار الخلفي لجدار القبلة من الداخل لبيتي الصلاة ، فلا يظهر فيها سوى بروز المحاريب الأربعة التي ببيتي الصلاة.

يبلغ ارتفاع هذه الواجهة حوالى 7,5 متراً فقط ، وهذا الارتفاع يقل بحوالى 3,5 متراً عن ارتفاع الواجهة الشرقية ، والسبب في ذلك أن الأرض التي أنشئ عليها المسجد غير مستوية ، فهي منحدرة باتجاه الشرق كثيراً.

الواجهتان الشمالية والجنوبية:

كما أسلفنا في البداية عند الحديث عن الواجهات بأن هاتين الواجهتين الخارجيتين لم تلقيا الاهتمام ولا ترقيان لمستوى الواجهة الشرقية ، إلا أنهما أفضل من الواجهة الغربية من حيث احتوائهما على النوافذ والشبابيك ، إضافة إلى المداخل في الواجهة الشمالية خاصة.

إن امتداد الواجهة الشمالية الذي يصل إلى 38 متراً يجعلها أكثر الواجهات طولا ، ولكن انحدار الأرضية التي أقيم عليها المسجد من الغرب إلى الشرق

Scanned by CamScanner

جعلهم يتدرجون بحيث تتساوى نهايات وقمم الجدران الخارجية للمسجد ، ويوجد مدخلان في هذه الجهة ، إلا أنه لا يتم الدخول عن طريقهما مباشرة إلى صحن المسجد و بيت الصلاة إلا بالمرور عبر مدخل خارجي يقع في الفناء الضيق الذي أقيم لتسوية الارتفاع الممتد لأكثر من منتصف هذه الواجهة (شكل1).

يوجد بهذه الواجهة 15 شباكٌ تعلوها 15 نافذة مفتوحة مطابقة لها من حيث التصميم و المقاسات ، وهذه الشبابيك و النوافذ (شكل3،4) تقع في المسافة من بداية الواجهة شرقاً حتى رواق القبلة المستجد ولا يستمر وجودها حتى الركن الشمالي الغربي إذ تختلف عن الشبابيك التي على الجدار المكون لبيت الصلاة الشمالي كما ورد وصفها سلفاً .

أما الواجهة الجنوبية التي تشرف على الجَرب أو المزرعة ، فأنها متدرجة نتيجة لالتصاق بعض الملاحق بها عند طرفها الغربي ، وتمتد كامتداد الواجهة الشمالية رغم التدرج الذي نلحظه عليها إلى الداخل كلما اتجهنا شرقاً ، وتمتد فيما بعد باستقامة عند الرواق الجانبي الجنوبي المطل على الصحن من الغرب إلى الشرق ، وفي هذا الامتداد تتوزع النوافذ والشبابيك على مسافات منتظمة إذ تبلغ نوافذها 15 نافذة تماثلها في العدد الشبابيك التي توجد أسفلها لا تختلف عن النوافذ والشبابيك في الواجهات الأخرى ، إضافة إلى أربع نوافذ في رواق القبلة على نفس الواجهة ، ويعلو الواجهة كغيرها صَفَّان من الدرابزين الذي نجده يحيط بالمسجد كاملاً من الداخل والخارج كحزام يتوجه ، ويتوج قمة الواجهة شرفات متدرجة ذات قمة رمحية على مسافات متباعدة تصل إلى حوالى 2،5 متراً (اللوحات 4،16) (شكل20).

Scanned by CamScanner

الواجهات المطلة على الصحن :

للصحن المكشوف أربع واجهات ،هي البائكات المطلة عليه ، فالواجهة الشرقية من الداخل (هي ظهر الواجهة الرئيسية الشرقية للمسجد من الخارج) تمتد شمالاً بجنوب حوالى 24 متراً تتوسطها المئذنة التي تحتل من هذه المسافة 4 أمتار ترتكز عليها قاعدتها التي منها ترتفع بتناقص تدريجي إلى قمتها (اللوحات 15،6) وعلى جانبي هذه القاعدة حيث تمتد الواجهة والبائكة المكونة من عقود مدببة مشمورة . وفي كل جانب ثلاثة عقود أكثر اتساعاً من عقود الأروقة الأخرى ، حيث تصل الزيادة في هذه العقود إلى حوالى نصف متر تقريباً في العقد الواحد . وفي الجهة الأخرى ما يماثلها (لوحة15).

يتوسط قاعدة المئذنة مدخل صغير يبلغ اتساعه حوالى نصف متر فقط وارتفاعه حوالى متر ونصف المتر وينتهي بعقد نصف دائري مشمور وتحيط به زخرفة كالتي نجدها على عقود الصحن في نفس المسجد. وهذا المدخل يؤدي إلى سطح المسجد ويؤدي كذلك إلى جوسق المئذنة عبر المرور بباب صغير آخر يقع عند بداية المستوى الأول للمئذنة الواقع على نفس مستوى سطح المسجد.

يتوج قمة الواجهة درابزين كالذي يتوج قمة الواجهات الأخرى ومن ثم شرفات متدرجة ذات قمة رمحية . أما الواجهتان الشمالية والجنوبية المطلتان على الصحن والمكونتان من سبعة عقود لكل منهما . فأنهما لا يختلفان في شيء عن الواجهات الأخرى إذ تنتهي قمة الواجهة – أيضا بشرفات متدرجة ، وكذا الحال بالنسبة للواجهة الشرقية لرواق القبلة المستجد والمطلة على الصحن إذ تمتد طولاً بنحو 24 متراً وبارتفاع حوالى 7 أمتار .(اللوحات 14،9) .

Scanned by CamScanner

المداخل والأبواب:

ورد بشأن أبواب المساجد أحكام شرعية تحث على اتخاذ أبواب للمساجد ، وذلك عندما ورد عند الحنفية أنه يكره غلق أبواب المسجد في أي وقت كان ، واعتمدوا في ذلك على قوله تعالى : " ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه "[302] . وخولف في ذلك فقيل كان هذا في زمان السلف الصالح ، أما في زماننا هذا فقد كثرت الخيانات فلا بأس بإغلاقه صوناً لمتاع المسجد وتحرُزاً ممن يثبُ على بيوت الجيران منه[303].

في إشارتنا السابقة عن المداخل والأبواب الرئيسية والفرعية الداخلية والخارجية التي تنضوي تحت المساحة العامة للمسجد ، سواءً أكانت تؤدي إلى داخل المسجد أو إلى شي من ملاحقه من الداخل أو من خارجه ، فإننا نقسمها إلى قسمين :

أبواب خارجية : وهي التي تؤدي من وإلى المسجد .

أبواب ومداخل داخلية : وهي التي تربط أجزاء المسجد بعضه ببعض ، وبعضها عليه باب خشبي وأخرى فتحات فقط ونسميها مداخل.وليس فيها ما يجعلنا نفصلها ونبينها لكونها مجرد فتحات معمارية لم تزخرف أو تزوق أو يضاف إليها ما يجعل لها قيمة فنية مميزة، غير أنها تقوم بوظيفتها فقط وهو الدخول والخروج عبرها .

---

[302] -آية 114 ،سورة البقرة.

[303] -عثمان ، محمد عبد الستار(د)، نظرية الوظيفية بالعمارة الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، (المرجع السابق)،ص16.

Scanned by CamScanner

الأبواب الخارجية :

وهي التي تفضي من وإلى المسجد في أي جزء أو اتجاه من اتجاهاته ، وهي سبعة أبواب ، اثنان منها في الجهة الشرقية (الواجهة الرئيسية) وهما الرئيسيان الرسميان ، وثلاثة منها في الجهة الشمالية (إذا عَدَدْنا البابين المطلين على الفناء إلا أنهما لا يفضيان إلا من وإلى خارج المسجد) . ثمَّة مدخل باتجاه الغرب يقع غرب مكان المطاهير ، وآخر باتجاه الجنوب ويفضي إلى الجَرْب أو المزرعة.

الأبواب الرئيسية:

وهي التي تقع في الواجهة الرئيسية للمسجد (الواجهة الشرقية) وعددها اثنان ، وهما متشابهان تماماً لدرجة التطابق من حيث مقاساتهما وطريقة وشكل صنع مصاريعهما الخشبية ، إذ يبلغ اتساع الباب بمصراعيه 1,30 متراً ، وكل مصراع منهما 60 سنتيمتراً ، وللباب قوائم خشبية يصل ارتفاع القائم الواحد من العتبة السفلى إلى العليا 2,60 متراً ، ويبلغ عرض القائم الواحد 10 سم ويبلغ سَمكهُ 20 سم . تم صنع المصاريع من الخشب الأحمر المسمى(الجاوي) ثبتت على ألواح يبلغ سمكها حوالى 4 سم ، رصت إلى جوار بعضها البعض طولياً وتربطها ببعضها البعض عوارض خشبية (زوافر) [304] سميكة من نفس الخشب

---

304 – (الزوافر) الخشبية وتسمى كذلك العوارض أو النوائم : هي القطع الخشبية التي تربط الألواح التي تشكل الأبواب أو الشبابيك . وعوارض من : اعترض الشيء: صار عارضا كالخشبة المعترضة في النهر. (تاج العروس ، الموسوعة الشعرية الالكترونية ، الإصدار 2 ،

Scanned by CamScanner

ويبلغ عددها 13 عارضاً (زافراً) لكل مصراع منها ، أي أن إجمالي عددها 26 عارضاً (زافراً) خشبياً في الباب الواحد ومثلها في الجهة الخلفية لنفس الباب على مسافات متباعدة تبلغ نحو 20 سم ، تم ترصيع كل نائم بمسامير حديدية ذات رؤوس نصف كروية لربط الألواح الخشبية بعضها ببعض ، وقد زخرفت العوارض (زوافر) هذه بزخارف هندسية غائرة .

يتم فتح وإغلاق المصاريع إلى الداخل ويُحكم إغلاقها بمغاليق خشبية متينة ثبتت على المصراع الأيسر – في أغلب الأبواب- وهو المصراع الذي لا يتم فتحه كثيراً ، إذ يظل في الغالب مغلقاً بمغلاقين من الداخل أحدهما يربط المصراع بالعتبة السفلى والآخر يربطه بالعتبة العليا ، وثمَّة مغلاقان[305] رئيسيان :

الأول : من الداخل ، وهو أيضاً من الخشب ، والآخر : من الخارج وله مفتاح خشبي (غَلَق)[306] يطلق عليه أهالي المنطقة (قِليد)[307] أو أقليد ، وهو قطعة خشبية يبلغ طولها حوالى 15 سم وعرضها 2سم وسمكها حوالى 1,5 سم ، وبأحد طرفيها ما يشبه أسنان المشط في ثلاثة صفوف أو صفين يكون لها فتحات تقابلها في داخل المغلاق نفسه ، إذا انطبقت تم الفتح أو الإغلاق .

وهذه المغاليق الخشبية نجدها في البابين الرئيسيين في الواجهة الشرقية وكذا في أبواب الجهة الشمالية الثلاثة وفي الأبواب الداخلية التي تفصل بيتي الصلاة ، كما نجدها في الأبواب التي تفصل بيتي الصلاة عن رواق القبلة ، وكذلك

2001م ، المعجم ، حرف ع ، 30 / 11) ، أما النوائم : فربما لأنها نائمة أو مستلقية . و لكنها تسمى عند أهل حضرموت (الزَّوَافِرْ) ومفردها زافِرْ.

[305] – المغلاق من (غَلق) : يقال باب غُلق وغَلَقُ الباب مغلق " والإغلاق مصدر أغلق والباب مغلق والغلق بالسكون اسم منه أنشد الجوهر" وباب إذا ما لز للغلق يصرف" . والغلقُ بالتحريك المغلاق وهو ما يغلق ويفتح بالمفتاح ومنه إذا كان للبستان باب وغلق فهو خلوة .(راجع ابن الرامي ، الإعلان بأحكام البنيان) ، دكتور : عثمان ، محمد عبد الستار ، (المرجع السابق)، ص196.

[306] – غالب ، عبد الرحيم (المرجع السابق) ، ص296 ، غَلَق : ج أغلاق وأغاليق : قفل من خشب .

[307] – قليد: تنطق الكلمة بكسر القاف واللام ، ومنها قالودة التي بدون مفتاح أو أقليد كما في بعض اللهجات الأخرى .

Scanned by CamScanner

في الأبواب التي على الملاحق المهمة كالمستودعات والمخازن والجوابي أو برك الماء .

هذان المدخلان الشمالي والجنوبي (لوحة 2) متشابهان لدرجة التطابق في جميع مواصفاتهما ، لذا سنكتفي بوصف أحدهما ، إذ تتقدم المدخل ظلة تبرز عن الواجهة بنحو مترين ترتكز على دعامتين طويلتين لكل دعامة قاعدة مربعة المسقط، ترتفع عن مستوى السلالم العلوية بـ 30 سم ، أما الدعامة التي ترتكز عليها فمشطوفة[308] الزوايا الأربع ، بحيث يتغير شكلها إلى الشكل المثمن بعد ارتفاع حوالى 20 سم عن القاعدة ومثلها ما قبل التاج الذي يعلوها وهو متدرج في ازدياد إلى أعلى ، ويقوم على هاتين الدعامتين عقد مدبب مشمور تحيط به زخرفة مفصصة (شكل 19).

يعلو هذه الظلة جوسق مثمن مسقوف بسقف على هيئة مربعة الشكل تقوم على أساطين أربعة ، ويتوج السقف قبيبة صغيرة تقوم على جوسق مثمن آخر أصغر قليلاً من السابق ، وهو مقوس القمة يعلو كل ضلع من أضلاعه عند قمته شكل مستطيل غائر خالٍ من الزخارف ، تليه القبيبة نصف الكروية التي بها فتحات دائرية الشكل ، تقع كل منها في جهة من الجهات الأربع ، ويتوج هذه القبيبة عمود صغير ذو تاج مربع (لوحة3).

الأبواب الفرعية الأخرى :

إن الأبواب الفرعية الخارجية هنا هي أبواب الجهة الشمالية ، وكذا باب الجهة الغربية وباب الجهة الجنوبية الذي يفضي إلى الجَرْبِ أو المزرعة .

---

308 – مشطوفة الزوايا : ليس لها حافة حادة أو مسننة ، ولكنها مائلة إلى الاستدارة .

Scanned by CamScanner

ليس ثمَّة اختلاف كبير بين هذه الأبواب ، فجميعها ذات مصاريع من الخشب ، إلا أن بعضها بمصراع واحد والأخرى بمصراعين ، فأبواب الجهة الشمالية بحكم أنها مدخل للمسجد كثيرة الاستعمال فأنها مؤلفة من مصراعين ، كل مصراع من مصاريعها يبلغ اتساعه 45 سم ، ويرتفع 2،2 0 متراً من العتبة السفلى حتى قمته ، ويتوج قمة الباب الذي يتوسط البلاطة الوسطى بالطرف الشمالي من رواق القبلة الحديث شمسية[309] يحيط بها عقد مفصص (شكل 21) ، وهذه الشمسيات تتوج أغلب مداخل المسجد التي تقع على الأروقة الجانبية للصحن. ويذكر أن أقدم الشمسيات الجصية غير المزججة وجدت في جامع ابن طولون[310] .

أما أبواب الجهة الغربية والجنوبية فأنها أصغر ، إذ تتكون من مصراع خشبي واحد يبلغ اتساعه 80 سم وارتفاعه 1,5 متراً ، أما العتبات والقوائم والعوارض (زوافر) فأنها لا تختلف من حيث نوعية أخشابها ، وكذا من حيث سمك القوائم أو العوارض (زوافر) فيها . وهي مثبتة بمسامير حديدية ذات رؤوس نصف كروية كبيرة .

ثانيا : الأبواب الداخلية :

وهي التي تربط بين بيتي الصلاة بعضها ببعض ، وكذا الأبواب التي تربط بين بيتي الصلاة ورواق القبلة الحديث ، وكذا الباب الصغير المؤدي إلى مكان الوضوء أو المطاهير والملاحق والذي يقع في بيت الصلاة الجنوبي(نواة

---

309 – الشمسية : هي نافذة مولفة من لوح حجري أو رخامي أو حصي مفرغ بزخارف نباتية أو كتابية ، وغالباً ما كانت الفراغات الموجودة منها تملأ بزجاج ملون .(راجع : رزق ، عاصم محمد ، (المرجع السابق) ، ص165.

310 – رزق ، عاصم محمد ،(المرجع السابق) ، ص 165.

Scanned by CamScanner

المسجد)، إضافة إلى أبواب أخرى في الملاحق نفسها بالمطاهير والجوابي أو البرك أو المخازن.

أما عدد الأبواب الفرعية في المسجد وأهمها حوالى 16 باباً تتفاوت مصاريعها بين الواحد والاثنين الخشبيين ، وقد تجد على بعضها زخارف هندسية محفورة في الغالب والقليل النادر منها نجد عليها زخارف نباتية (لوحة 13) (الأشكال 15،16).

توجد بين بيتي الصلاة ثلاثة أبواب خشبية تفصل فيما بينها ، وهي أبواب مؤلفة من مصراعين مزخرفين يصل اتساع كل منها إلى 1,20 متراً بارتفاع 2,20 متراً ، بحيث يصل كل مصراع من المصراعين إلى 53 سم تقريباً في جميع الأبواب الثلاثة ، أما قوائم كل باب فيصل عرضه إلى 6 سم وسمكه إلى الداخل 10 سم .

كل مصراع مكون من شرائح طولية سمكها يتراوح من 3- 4 سم تربطها عوارض (زوافر) خشبية مستعرضة سميكة ثبتت بمسامير حديدية ذات رؤوس نصف كروية ، يبلغ عدد العوارض (زوافر) في كل مصراع منها (11عارضاً (زافراً)) مزخرفة بزخارف هندسية غائرة . ويتحكم في فتح وإغلاق المصراعين مغاليق خشبية كالتي وجدناها على الأبواب الرئيسية للواجهة الشرقية.

إن من أهم الأشياء التي وجدت على الباب الأوسط من هذه الأبواب التي تفصل بيتي الصلاة بعضها عن بعض هو ذلك النص الكتابي المؤرخ الذي كتب بطريقة الحفر الغائر على العتبة العلوية للباب . ويتوج هذا الباب حشوة خشبية مزخرفة بزخارف محفورة ، وتتوج هذه الحشوة ما يشبه الشرفات المحفورة بأشكال مختلفة(لوحة 13) (الأشكال15،16).

Scanned by CamScanner

أما الأبواب الستة الواقعة في الجدار الشرقي لبيتي الصلاة التي تربطه برواق القبلة الحديث ، فأنها – كذلك – لم تختلف عن الأبواب سالفة الذكر ، فمقاساتها على النحو التالي :

نجد أن أبواب بيت الصلاة الجنوبي يبلغ اتساع مصاريعها للباب الواحد 1,20 متراً مع القوائم ، ويبلغ ارتفاعها 2,20 متراً وبها من العوارض (زوافر) المستعرضة السميكة في كل مصراع 9 عوارض (زوافر) مزخرفة ومرصعة ، كل عارض منها ثلاثة مسامير حديدية ذو رأس نصف كروي وضعت على مسافات متساوية ، اثنان في الطرفين وواحد في الوسط بينهما.

أما الجدار الجنوبي لبيت الصلاة الجنوبي فإننا نجد في نهايته باتجاه الشرق باباً صغيراً ذا مصراع خشبي واحد ينفتح باتجاه الشرق داخل بيت الصلاة ويتم إغلاقه بمغلاق خشبي من الداخل فقط.

وفي الممر الواقع جنوب بيت الصلاة نفسه ، الذي يربط بين بيت الصلاة الجنوبي وبين رواق القبلة والصحن بالملاحق ، فإننا نجد باباً في الجدار الغربي يوصل إلى مكان المطاهير والبرك ، وهو مؤلف من مصراع خشبي واحد يصل اتساع مصراعه إلى 80 سم وارتفاعه 1,70 متراً وبه من العوارض (زوافر) الخشبية عدد 11 عارضاً (زافراً)، ويحكم إغلاقه من الداخل والخارج بمغلاقين خشبيين لا يختلفان عن المغاليق السابقة .

وفي نهاية الجدار الجنوبي للممر نفسه يوجد باب خشبي ذو مصراع واحد ينفذ منه إلى الجرب ،ولا يختلف كثيراً عن الباب السابق ذكره . وثمَّة باب آخر يؤدي إلى مكان المطاهير والجوابي ويقع في الجدار الجنوبي وينفتح باتجاه الشرق ، وله مصراع خشبي واحد أيضاً . وإلى جانب الأبواب السابقة نجد أيضا أبوابا أخرى وهي الخاصة بمكان المطاهير والجوابي ويبلغ عددها 14 باباً ، يصل

Scanned by CamScanner

اتساع مصراع الباب الواحد إلى 60 سم ، وارتفاعه 1,70 متراً ، وليس بها أية زخارف أو عوارض (زوافر) خشبية كسابقتها . أما مغاليقها فمن الداخل والخارج أيضاً ، ولكن أصغر من غيرها وليس لها أقاليد أو مفاتيح ، ويبلغ عددها 13 باباً ، ستة منها للبرك أو الجوابي الساخنة وثمانية للبرك أو الجوابي غير الساخنة ، وآخر ينفذ باتجاه الشمال إلى خارج المسجد ، و باب آخر يدخل إلى حيث توجد البئر[311].

النوافذ والشبابيك :

تكثر في مسجد المحضار النوافذ المفتوحة والشبابيك وتتركز جميعها في الأروقة الجانبية والرواق المقابل لرواق القبلة ، إلا أن ثلاثة شبابيك فقط هي التي نجدها في بيت الصلاة الشمالي . ويبلغ إجمالي الشبابيك 45 شباكاً موزعة بين الأروقة المحيطة بالصحن وبيت الصلاة الشمالي (شكل 4)، وتعلو أغلب هذه الشبابيك نوافذ واسعة (بحجم الشبابيك) مفتوحة ، ترتفع عن الشبابيك – في الأروقة المطلة على الصحن – بحوالى (70-90 سم)،(شكل 3).

جميع الشبابيك والنوافذ متساوية من حيث (الاتساع والارتفاع والعمق) فَيَصِلُ الأول إلى 60 سم والثاني إلى 1,50 متراً والثالث إلى 60 سم بالترتيب ، أما الشكل العام للشباك أو النافذة فيشبه أشكال العقود المدببة عند قمته ، ويحيط به من الخارج زخرفة كالتي تحيط بالعقود التي تشرف على صحن المسجد[312].

---

311 - إن تخطيط المساجد القديمة غالباً في حضرموت وغيرها يحتم وجود بئر للماء يستخدم للطهور والشرب . وقد جعل المعمار بئر الماء خارج المسجد أو الجامع قريب منه (راجع النصوص الشرعية والأحكام : عثمان، عبد الستار ، نظرية الوظيفية بالعمارة الدينية ، (المرجع السابق)، ص 18).

312 - راجع فيما يخص الزخرفة عن الزخارف في الباب الرابع .

Scanned by CamScanner

استعمل لعمل الشبابيك الخشب كإطار خارجي بسمك 10 سم قُسِّمَ على ثلاثة مستويات ، الأول من الأسفل ارتفاع 60 سم والثاني مماثل له ، وأما الثالث فهو عبارة عن عقد نصف دائري ، تتخلل هذا الإطار – طولياً- أسياخ حديدية رفيعة من القمة إلى القاعدة على مسافات عرضية متباعدة تصل إلى حوالى 10 سم (شكل 4) .

أما النوافذ فهي فتحات بنفس هيئة الشبابيك من ناحية التكوين المعماري ، إلا أنها مفتوحة ، ولم يتم وضع أطر حولها لأنها مما لا تستدعيه الحاجة ، وقد تم تأطير الشبابيك وعمل لها أسياخ حديدية من غير مصاريع خشبية ونحوها. ولكون الأروقة الجانبية في الأصل مفتوحة على الصحن مما يجعل التيارات الهوائية تخترقها ، كما أنها تؤدي عدم وقوع الأطفال أو كبار السن منها إلى خارج صحن المسجد أو الدخول منها إلى المسجد بطريقة غير مشروعة لسرقة أو تخريب أو خلافه ،لا سيما وأنها ترتفع عن مستوى أرضية الأروقة بحوالى 30 سم فقط ، هو الأساس الذي عُمِلَتْ من أجله الأسياخ الحديدية ، ولم يكن ثَمَّة هدف غير ذلك منها.

أما شبابيك بيت الصلاة الشمالي الثلاثة فأنها تقع في الجدار الشمالي على ارتفاع حوالى ثلاثة أمتار من أرضية بيت الصلاة ، ويبلغ اتساع الواحد منها حوالى 80 سم بينما ارتفاعه مترٌ واحدٌ ، وهي إطارات خشبية عليها أسياخ حديدية كالتي وجدناها على شبابيك الأروقة المحيطة بالصحن.

إضافة إلى ذلك فإنه لم يصنع لها مصاريع خشبية بل تم إغلاقها بواسطة لوحين زجاجيين تم تثبيتهما في أصل الإطار الذي يحيط بالفتحة ، وهذا الإطار مقسوم بواسطة نائم خشبي عرضياً إلى قسمين وضع الزجاج فيهما.

Scanned by CamScanner

الباب الثالث

المنارة : المئذنة

لقد عُرفتْ المئذنة بأسماء ثلاثة أخرى أولها الصومعة[313] نسبة إلى ما تشير إليه من أبراج المعابد الوثنية ، أو أبراج الحراسة والمراقبة في القلاع والحصون الرومانية ، أو أبراج الكنائس المسيحية التي أطلق المؤرخون العرب على كل منها اسم الصومعة ، وسموا بهذه التسمية كل مآذن الشمال الإفريقي المربعة ، وقد استخدم ابن الرامي مصطلح صومعة بمعنى المئذنة فذكر الكلام فيمن " بنى صومعة يتكشف منها على دور الجيران أو من سطح المسجد ، ويغلب على الظن أن المآذن الأولى التي شيدها المسلمون واطقلوا عليها اسم صوامع كانت في هيئة أبراج مربعة قريبة في شكلها العام من أبراج الكنائس السورية[314] ، وثانيها المنارة ، نسبة إلى المنار أو الفنار الذي كانت تشعل فيه النار أو ينبعث منه النور بواسطة العدسات أو بوسائل الإشعاع الكهربي لإرسال الإشارات الضوئية ليلاً ، وثالثها العساس بمعنى مكان العسس والمراقبة ، لأن بعض هذه المآذن لم تكن تستخدم للأذان فقط وإنما كانت تستخدم للكشف والاستطلاع ولا سيما إذا كانت في موضع يسمح لها بذلك[315]. أما بالنسبة لأصل المئذنة فثمَّة آراء كثيرة مختلفة حولها ، فمنهم

---

313 – الصومعة : في العمارة الإسلامية لاسيما في بلاد المغرب والأندلس كمسمى للمآذن فالصومعة هي المئذنة (عثمان ، محمد عبد الستار ،الإعلان بأحكام البنيان ، لابن الرامي ، (المرجع السابق)، ص188).

314 – عثمان ، محمد عبد الستار (د)، (المرجع السابق) ، ص188.

315 - رزق ، عاصم محمد ، (المرجع السابق) ، ص307.

Scanned by CamScanner

من يرى أن فكرة المئذنة استلهمها المسلمون من اليهود الذين يستعملون الأبواق والمسيحيين الذين يستعملون النواقيس عند ندائهم ، فكان أمر رسول الله ﷺ بلالا أن يؤذن من أعلى سطح في المنطقة ، في حين يرى آخرون أنها ذات أصل شامي أو روماني[316] ، والواقع أن مسألة الإشعار بالأذان أو النداء للصلاة يتطلب تبليغ أكبر عدد ممكن من المصلين ، وبالتأكيد فإن المكان المرتفع يؤدي هذه الوظيفة وليس من الضروري أن تؤخذ عن فكر محدد أو جماعة معينة فكل شي في حياتنا نتداوله ونأخذ منه ما كان يفيد ويناسب ، ولهذا فالمستشرقون -مثلاً- يربطون ما يرون أو يسمعون بفكرهم وما عاشوا عليه وتربوا ، ولا يزعجنا أن نصادف تشبيهاتهم بما لديهم أو لدى غيرهم مما وجدوه أو شبه لهم . و تجدر الإشارة إلى أن أول مئذنة شيدت في العصر الإسلامي كانت من الحجر لجامع البصرة عام (45هـ/665م)[317]، ومما يذكر أن الخليفة معاوية أمر مسلمة ببناء الصوامع للأذان ، وهكذا بنى مسلمة أربع صوامع على أركان المسجد الأربعة وكان بذلك أول من بناها في المسجد إذ لم يعمل مثلها قبله، وهذه أول إشارة للمئذنة[318].

إن أول إشارة إلى منائر المسجد الحرام من المسلمين كانت في كتاب " أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار " للأزرقي ، ويعد كتابه هذا مرجع الباحثين عن مكة المكرمة حتى عهده ، وقد توفى نحو عام 250 هجرية ، حيث ذكر بأنه في زمانه كانت للمسجد الحرام أربع منارات يؤذن فيها مؤذنو المسجد وتقع في زوايا المسجد الحرام على سطحه ، ويرتقى إليها بواسطة درج ، ولكل منارة من هذه

---

316 - شافعي ، فريد محمد ، (المرجع السابق) ، ص154.

317 - شافعي ، فريد محمد ، (المرجع السابق) ، ص154.

318 - كريزويل،ك ،(المرجع السابق)، ص29.

Scanned by CamScanner

المنارات الأربع باب يغلق عليها شارع المسجد الحرام ، وعلى رؤوس المنارات شُرَاف[319].

فموضوع المآذن يطول الحديث حوله ، ولهذا يكفينا منه ما يعطينا فكرة مبسطة عنها وعن وضيفتها ونماذج من تصاميمها والتطورات التي طرأت عليها والإبداعات التي تميزت بها مآذن الإسلام .

ومنارة مسجد المحضار هي التسمية التي اشتهرت بها ، وفي دراستنا هذه سنتطرق إلى تفاصيلها من الناحية المعمارية حيث مواد البناء التي قاومت الزمن والتصميم الملفت للنظر ومن حيث الجانب الزخرفي الذي أضفى عليها الشيء الكثير من النواحي الجمالية والفنية وأصبغ عليها صبغة لم نرها في المآذن اليمنية بخاصة ، إضافة إلى ما قيل عنها وما ميزها عن غيرها من مآذن حضرموت بشكل خاص واليمن بشكل عام وعن مآذن العالم الإسلامي قاطبة.

يؤسفنا ونحن نوثق اليوم لهذا المعلم التاريخي البارز أننا لم نتمكن من الحصول على صور أو مخططات أو معلومات دقيقة عن هيئة مئذنته الأولى التي كانت موجودة عندما بناه مؤسسه الإمام عمر المحضار في القرن التاسع الهجري ، ولكن فيما يبدو أنها لا تختلف كثيراً عن المآذن الأولى القديمة في حضرموت وذلك بقصر ارتفاعها وتواضع تصميمها ذات المسقط المربع كما هو الحال في منارة جامع هينن الذي بُني سنة (795هـ[320]/1393م) ، وهو النمط الذي استمر أزماناً طويلة في حضرموت و لم يتم تحديدها إلى هذا الوقت ثم بدأت تظهر المآذن أسطوانية الشكل التي يتوجها جوسق وتتميز بقصر طولها الذي يتراوح فيما بين 3- 10 أمتار تقريباً ، و سبب عدم ارتفاع المآذن كان نتيجة لما قد تسببه هذه المآذن

---

319 – العميد ، طاهر مفيد ،(د) ، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، جامعة بغداد، 1986م،ص 54.

320 – شنبل ، احمد بن عبد الله ، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ،ط1 ،1415هـ/1994م ،ص151.

Scanned by CamScanner

من كشف[321] البيوت المجاورة لاسيما وأن المؤذن فيما مضى كان يصعد إليها عبر السلالم حتى قمتها عند الجوسق ليؤذن ، وقد وردت الكثير من الأحكام الفقهية التي تنهى عن ذلك وقد أورد كثيراً منها ابن الرامي في كتابه البيان بأحكام البنيان فيما يخص ضرر الكشف من عِلٍّ ومن المآذن وسطوح الدور المرتفعة ، وقال يمنع الصعود والارتقاء عليها لأن هذا من الضرر ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الضرر[322].

ومما يذكر[323] أن موضع المئذنة الأولى كان فيما بين البائكة الثانية والثالثة من بوائك رواق القبلة الحديث المطلة على الصحن في المساحة التي تكون تقريباً فيما بين العقدين الرابع والخامس من جهة الشمال.

إن مئذنة مسجد المحضار الواقعة في منتصف الواجهة الشرقية الرئيسية ، تعدُ اليوم معلماً معمارياً وفنياً رائعاً يعكس التأثيرات الحضارية والتمازج الفكري الناتج عن الهجرات والصلات بين الشعوب الإسلامية عبر التاريخ ، فإذا كانت هذه المئذنة تمثل نموذجاً من نماذج تمازج الحضارات وتمثل نوعاً من التأثيرات المحببة والمطلوبة ، فهذا يدل بلا أدنى شك إلى الكثير من الملامح المشتركة بين الحضارات وأن العقل البشري والحس الجمالي يأخذ ويعطي ما يشده وما يؤثر عليه وهي طبيعة محمودة ولا تدل بأي حال من الأحوال على نقص في الإبداع ولكن تدل على قدرة فائقة في اختزان المناظر الجذابة والاستفادة من التكوينات غير المألوفة لخلق إبداع جديد ، ولهذا أيضاً وجدت الملامح المنقولة من جنوب

---

321 ـ سبق الإشارة إلى موضوع الكشف في البداية ، وقد ذكر كثير من العلماء ذلك ، وأصدرت فتاوى بهذا الخصوص نتيجة لضرر الكشف ، ويذكر بن عبيد الله في كتابه إدام القوت فتواه عندما تم تجديد مسجد السيد احمد بن جعفر بسيئون وقال بأنه عمل له منارة رفعها وتضرر بها الجيران ونهيته فما انتهى .(السقاف ، عبد الرحمن بن عبيد الله، (المرجع السابق) ، ص379.

322 ـ عثمان، محمد عبد الستار (د) ، الإعلان بأحكام البنيان ، (المرجع السابق)، ص47.

323 ـ كان لقاؤنا بأحد القائمين على المسجد من أسرة آل بن شهاب الدين في مدينة تريم ، وقد وصف لنا ذلك نقلاً عن أبيه وجده ، وهم القائمون على المسجد منذ بناه السيد أبوبكر بن شهاب كما يقولون (الحديث عام1414هـ/ 1993م).

Scanned by CamScanner

شرق آسيا والهند أيضاً في العمارة الحضرمية الأخرى كالقصور المعروفة بتريم لأسرة آل الكاف وغيرها من الأسر الثرية بحضرموت . وقد سبقت الإشارة إلى موضوع تصميم بناء منارة المحضار الذي يذكر أنه ربما تكون له علاقة بالهند أو غيرها حيث كان يقيم السيد أبوبكر المشهور ، ولكننا للأسف لم نصل إلى نتيجة واضحة أو نتمكن من العثور على مسجد مشابه له في الهند أو غير ها من الدول التي كان الحضارم يقيمون بها ، ومما يذكر مثلاً عن نمط من المآذن لبعض المساجد في الهند ربما بها بعض الملامح من المآذن العربية ، وربما يصل طولها إلى أكثر من طول منارة المحضار بقليل ،حيث أن فتح المسلمين للهند – على نطاق واسع – كان في عهد (سبكتكين الغزنوي (977-997)، وابنه محمود بن سبكتكين ، وتميزت العمارة بخصائص واضحة ولها طابع مميز ، ونجد مثلاً المئذنة الهائلة التي تسمى بالقطب منار ، وهي أشبه بنصب تذكاري رفيع الذرى ، ارتفاعه 72,5 متراً وقطر قاعدته يزيد على 15 متراً ،ثم تضيق المئذنة في صعودها شيئاً فشيئاً حتى يصل قطر أعلاها 3 أمتار ، والمئذنة مضلعة ، تبدو أضلاعها[324] وكأنها أعمدة متلاصقة ، وللمنارة ثلاث شرفات للأذان ، تقوم كل شرفة منها على مقرنصات بالغة الجمال ، وهذه أضخم مئذنة في عالم المساجد .

ويتضح جلياً تفاعل السياح من أهل البلد ومن غيرها عند مرورهم بهذا المعلم الفريد والنمط المغاير للعمارة المألوفة في حضرموت خاصة واليمن عامة ، ويذكر أحد السياح الذين زاروا حضرموت في عام 1931م بأن ثَمَّة مئذنة عالية

---

[324] – مونس ، حسين (د) ، المساجد ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، (37)، صفر/ربيع الأول 1401هـ/ يناير (كانون الثاني) 1981م ، ص294.

Scanned by CamScanner

جدا مربعة وليست مستديرة ، مطلية بلون أزرق خفيف، ترتفع عالية فوق أشجار النخيل والمنازل[325] . كما نجد أحدهم يعبر بقوله:

" ويكفي أن تعلم أن هذه المئذنة الرفيعة التي ترتفع في الفضاء ، لم يستخدم في بنائها لا الحديد ولا الاسمنت ، وإنما الطين وجذوع النخيل فقط .. وارتفاعها الشاهق يجعلها قبلة الأنظار فحيثما اتجهت في تريم تجدها أمامك .. وفي السماء تشع منها الأضواء فيراها القاصي و الداني"[326] . أما بعض مَن سجل مذكراته عن حضرموت فقد خلط بين أسرة مؤسسيها وبين مؤسسي القصور الضخمة في تريم وهم أسرة آل (الكاف) باعتبارهم من أشهر أثرياء حضرموت ، ولهذا قال : ويقال أن آل الكاف بنوا مسجداً له أعلى منارة في حضرموت[327] . والمقصود بالطبع منارة المحضار التي لا تضاهيها منارة بحضرموت وربما باليمن أيضاً .

و يقول الشاعر حامد السري عن المنارة في ديوانه[328] :

مَنَارَةُ المجدِ قد بانت محاسنها ... أجلتْ عَنِ القَلبِ أدراناً وأحزانَا

كالشَمسِ إذ تَملأُ الدُنيا أشعَتُها ... لا تَستَطيعُ لها الأقطارُ كُتْمَانَا

والرَبعُ يُطلِعُ أقمَاراً نفوزُ بِهَا ... بُشرى كَمَا تُنعِشُ الأرْوَاحُ أبدَانَا

---

325 – ميولين ، فان در ، وَ فيسمان، هـ فون، حضرموت ، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ترجمة وتعليق الدكتور: محمد سعيد القدال،جامعة عدن ، كلية التربية ،المكلا، 1997م ،ص155.

326 – زبال ، سليم ن(المرجع السابق) ، ص131.

327 – إنجرامس ، دبليو أتش ، حضرموت 1934 – 1945م ، تعريب : د/ سعيد عبد الخير النوبان ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، 2001م .ص146.

328 – السري ، حامد بن محمد بن سالم السري جمال الليل با علوي ، الغصن الطري من حدائق الفكر الثري ، جمعه : حسن علي حامد السري ، (ج2،1) ،مطابع المكتب المصري الحديث ،القاهرة ، 1421هـ/2000م ، ص656 .

Scanned by CamScanner

هذه المئذنة ترتكز على قاعدة مربعة الشكل كل ضلع من أضلاعها يبلغ عند أدنى مستوى له 4 أمتار وتتناقص مقاسات أضلاعها تدريجياً كلما ارتفعت إلى قمتها فتصل إلى حوالى مترين (اللوحات 5،6،7) حيث يصل ارتفاعها إلى 52,5 متراً تقريباً[329].

لقد تم بناؤها من الطين (المَدَرْ) كما رأينا في بقية أجزاء المسجد ، حيث تبنى أغلب أبنية وادي حضرموت منها حتى وقتنا الحاضر ، ويتطلب البناء بالطين وقتاً أطول من غيره وذلك حتى تجف المونة[330] بين مداميكه بالتجفيف الطبيعي بواسطة الشمس ، وما أن يجف حتى يكتسب صلابة قوية بحيث لا يكون من السهل تفكيكه وتكسيره كلما طال به الزمان[331].

إن إنشاء المئذنة بهذه المواصفات وبهذا الطول – بالتأكيد- يتطلب البدء بعمل قاعدة متينة من شأنها حَمل هذا الوزن لكيلا يهبط في الأرض أو تؤثر عليه عوامل الزمن فينهار بسرعة أو يفقد توازنه ، ومن المؤكد أن ثَمَّة قاعدة حجرية متينة توجد أسفل تلك اللبنات والمداميك المبنية بعناية واتزان حتى وصلت إلى هذا الارتفاع الشاهق وصمدت كل هذا الوقت وما زالت قائمة وكأن بانيها قد فرغ منها بالأمس القريب. ثم أن قاعدتها نافرة عن جدار المسجد الشرقي نحو السطح بنحو فوت واحد ونحو نصف متر على الجهة المقابلة المشرفة على الشارع شرقاً ، وليس معنى ذلك أن هذا البروز خلل في البناء أو أن ثَمَّة اختلافاً زمنياً بين البناءين، بناء الجدار الذي يمثل الرواق الشرقي وبين جدار قاعدة المئذنة ، ولكنه

---

329 – زبال ،سليم ،(المرجع السابق) ،ص 125 / الصبان ، عبد القادر محمد ، (المرجع السابق) ، ص20 / وطاهر ، علوي عبد الله ، (المرجع السابق) ،ص 181.

330 – المونة : في المصطلح الأثري للدلالة على مزيج من الجير والرمل ومسحوق الطوب الحمر ورماد الأفران كان يستخدم في العصر الإسلامي لتثبيت مداميك الأبنية الثرية وتغطية جدرانها بطبقة ملاطية . (رزق ، عاصم محمد ، المرجع السابق ، ص306) ،وفي الطين المونة : الطبقة المكونة من عجين الطين الذي يؤدي نفس الوظيفة .

331 – عن صلابة مادة الطين وجذوع الأشجار ومقاومتها للزمن يمكن الرجوع إلى كتاب :(لومبير ، ايلي ، تطور العمارة الإسلامية في أسبانيا والبرتغال وشمال أفريقيا، (المرجع السابق)، ص 30) .

Scanned by CamScanner

تدعيم وتقوية تمت أثناء البناء ومن نفس التصميم . ولم نجد اختلافا في شيء من أجزاء الأروقة الأربعة التي تحيط بالصحن ، مما يدل على أن عمارتها كانت في مدة زمنية واحدة ، على اختلاف ما هو ظاهر في بيتي الصلاة كما ورد.

تنقسم المئذنة من حيث تصميمها إلى خمسة مستويات إضافة إلى مستوى القاعدة والمستوى العلوي الذي يمثل الجوسق والقبيبات الخمس التي تتوجه. ويفصل بين كل مستوى وآخر درابزينات من نفس نوع الدرابزينات التي تتوج قمة سطح المسجد التي تحيط بالجدران الداخلية والخارجية للأروقة المستجدة حول الصحن .

للمئذنة مدخل صغير يمكن الصعود عن طريقه إلى سطح المسجد أولاً ومن ثم عن طريق باب آخر بداخلها عند مستوى سطح المسجد مع بداية مستواها الأول بعد القاعدة ، يمكن عبره الصعود إلى أعلاها حتى الجوسق الذي يتوجها عند قمتها. وهذا الباب الأخير صغير يبلغ اتساعه حوالى نصف متر فقط وارتفاعه نحو 1,5 متراً وله مصراع خشبي واحد ويتم إغلاقه من الداخل ومن الخارج بمغلاق خشبي أيضا (قالودة) . أما المدخل الأول فهو من الصحن ويطل على الجهة الغربية فيبلغ اتساعه نصف متر وارتفاعه 1,5 متراً على شكل نصف دائري محدب القمة وتحيط به زخرفة (لوحة 15).

تبلغ درجات السلم المؤدي إلى قمة المئذنة من قاعدتها 140 درجة ، ويتراوح اتساعها ما بين 50 -60 سم وارتفاع الواحدة منها عن الأخرى ما بين 15 -20 سم ، ويلتف الدرج بمحاذاة جدران المئذنة من الداخل بشكل مربع من القاعدة حتى المستوى الرابع ، ثم تتغير إلى حلزوني يضيق قليلاً عن المستويات التي تسبقه حتى يصل إلى الجوسق.

Scanned by CamScanner

تتوسط القاعدة من الجهة الرئيسية المطلة على الشارع ،نافذتان إحداهما مفتوحة والأخرى مسدودة (حالياً) من الداخل بالمدر ، ويبلغ اتساع النافذة حوالى 30 -35 سم وارتفاعها حوالى 70 سم وهي محاطة بزخارف . أما في الأركان الأربعة للقاعدة من نفس الجهة توجد مشكاوات بزخارف رائعة[332](شكل 5) .

باتجاه الغرب حيث تطل القاعدة على الصحن ، فإننا نجد فتحتين صغيرتين تقعان أعلى المدخل بارتفاع نحو مترين على مستوى واحد يبلغ اتساع كل منهما ربع متر وارتفاع نصف متر.

بين كل مستوى من مستويات المئذنة ابتداءً من قاعدتها وحتى أعلى الجوسق، تفصل درابزينات كالتي تتوج الواجهات حول قمة سطح المسجد كاملاً ، إذ يبلغ ارتفاع الدرابزين حوالى 80 سم ، إذ نجده في كل جهة من الاتجاهات الأربع (عدا القاعدة) يشكل مستطيلين متساويين يفصل بينهما كتلة من أصل البناء في منتصف المسافة تماماً ، وليست هذه الدرابزينات فتحات للإضاءة ، ولكن تم عملها كجانب زخرفي ليس إلا ، والفتحات الخاصة بالإضاءة تمت الإشارة إليها سلفاً .

المستويات الأربعة ما بين القاعدة وما بين المستوى الخامس لا تختلف من حيث تصميمها ، وكذا من حيث زخرفتها (شكل 6) ، فجميع هذه المستويات مربعة الأضلاع ، يحتوي كل مستوى منها على 8 نوافذ تماثلها عدداً فتحات صغيرة كالتي ذكرناها في الجهة الشرقية للقاعدة.

أما المستوى الخامس فهو الذي يتحول فيه شكل المئذنة من المربع إلى المثمن، وفيه نجد أن النوافذ والفتحات تتوسط المستوى في كل جهة منها نافذة تعلوها فتحة صغيرة ، ويفصل بينهما جزء من درابزين ، ويحيطهما من الخارج ما يشبه العمودين الرفيعين اللذين يرتكز عليهما عقد مدبب مشمور.

---

[332] -راجع عن الزخارف الباب القادم ففيه تفصيل لزخارف المئذنة وغيرها من أجزاء المسجد .

Scanned by CamScanner

أما الجوسق فإنه مكون من ثلاثة أساطين في كل اتجاه ، وهو مربع الأضلاع ، يصل اتساع كل ضلع منها إلى مترين ، وكل أسطون من أساطين هذا الجوسق يبلغ قطره حوالى 25 سم ، أما الأركان الأربعة فهي دعامات يصل مربع أضلاعها 30×30 سم وارتفاعها حوالى 1,5 متراً ، وبين كل أسطون وآخر يقوم عقد مدبب صغير (لوحة7) ، وتتوج المئذنة قبيبات صغيرة عددها خمس أكبرها أوسطها ، وأربع أصغر حجماً من الوسطى ويقعن في الأركان.

Scanned by CamScanner

الباب الرابع

الفصل الأول

الملاحق

إلى جانب بيتي الصلاة ورواق القبلة والأروقة الجانبية التي تحيط بصحن المسجد والرواق المقابل الذي يقع في الجهة الشرقية الذي عليه المئذنة ، فإن ثَمَّة ملاحق أخرى تابعة للمسجد وتُعَد في الأهمية بحيث ينبغي التعرض لها كسائر أجزاء المسجد ؛ لما تقوم به من وظائف مكملة ومتممة ، فوجوب الطهارة للمصلين فرضت وجود موضع تؤدى فيه الطهارة ، حيث تتوفر المراحيض والبرك أو الجوابي وأماكن الوضوء المعتادة وبشكل كافٍ بحيث لا يزدحم الناس إذ يتطلب ذلك وقتاً متقارباً في أوقات الصلاة . إضافة إلى ما تبقى من معالم المزيرة حيث كان يتم وضع أزيار الماء المخصص للشرب لتبرد ، كل هذه الملاحق المستخدمة من قبل زائري المسجد والمترددين عليه وتحتاج أيضاً إلى وفرة المياه بالمسجد إذ اعتمادها كله على الماء ، فلذلك تم حفر بئر في الزاوية الجنوبية الغربية في طرف الجرْب حيث زراعة النخيل وغيره التابع للمسجد الذي يسقى من المياه المستخدمة في الطهور ومغاسل وجوابي المسجد ، وثَمَّة ملاحق أخرى تابعة للمسجد وهي منشآت معمارية فرضتها مطالب نشاط المسجد اليومي والموسمي في الشهور الكريمة كرمضان وفي الأعياد ومناسبات المولد النبوي الشريف وأعياد رجب وليلة النصف من شعبان وغيرها مما داوم على إحيائها والاحتفال بها أهالي تريم

Scanned by CamScanner

إلى وقتنا الحاضر ، كالمستودعات التي تخزن فيها سجاجيد وحصر المسجد ولوازم إعداد القهوة ومتطلبات توزيع الماء وإدارة البخور أو العود (الدخون) والعطور (ماء الورد) وغير ذلك من أدوات التنظيف .

أولاً : المطاهير :

وهي المواضع الخاصة بالطهور للصلاة ، وبها حنفيات المياه المصفوفة فوق ساقية تصريف المياه إلى خارج المسجد ، وهي مستحدثة ، وكانت قديماً أحواض للماء يتم تعبئتها بالدلو من البئر مباشرة ليتوضأ المصلون منها ، إلى جانب ذلك كانت توجد المغامس ، وهي أشبه بالبرك غير العميقة وتكون عند مدخل المسجد فيمر بها كل الداخلين إلى المسجد ليغسلوا أرجلهم فيها حتى لا تصل النجاسة أو القاذورات إلى داخل المسجد . وقد تغيرت كل هذه الخدمات لتحل محلها حنفيات المياه الجارية الموصولة بمواسير حديدية تمتد من مسافات بعيدة . ويمكن الوصول إلى مكان المطاهير بمسجد المحضار عبر الممر الضيق الذي يقع جنوب بيت الصلاة القديم وهذا الممر من داخل المسجد ، أما من خارج المسجد فيوجد باب صغير في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد يؤدي مباشرة إلى أماكن الوضوء هذه وعبر الممر يمكن الدخول إلى صحن المسجد أيضاً في الركن الجنوبي الغربي للصحن .

Scanned by CamScanner

الجوابي (البرك) :

وتحتل الجوابي أو (البرك) وهي المخصصة للوضوء والاغتسال حيزاً لا بأس به من المسجد في الركن الجنوبي الغربي أيضاً ، ويبلغ عدد جوابي المسجد عشر جوابي خمس منها توجد بأرضياتها صفائح نحاسية كانت تستعمل لتسخين المياه في أيام الشتاء الباردة ، وهذه الصفائح النحاسية يتم تسخينها من أسفل عبر فتحات كبيرة من خارج المسجد أشبه بالمدفأة المستخدمة في البلدان الأوربية الباردة ، وينخفض مستوى هذه المساخن خارج المسجد ، وتقع في جرب المسجد ، حيث يتم إحراق الأخشاب والحطب[333] ليدفأ الماء ، وهذه الميزة توجد في خمس جوابي من مجموع جوابي المسجد وتشترك الجوابي الخمس في مياهها عبر فتحات واسعة أسفل الجدار الفاصل بين كل جابية وأخرى حيث تختلط المياه لتصبح جميعها في درجة حرارة واحدة وكذا بالنسبة لتعبئة الجوابي بالمياه فيرتفع منسوبها معاً في آنٍ واحد، وكذا عند التنظيف وتصفية المياه المستعملة فيتم بشكل عام لهذه المجموعة . وثمَّة خمس جوابي ليست بها صفائح نحاسٍ كالتي في المجموعة الأولى . وتوجد هذه الخاصية في كثير من مساجد حضرموت القديمة .

تبلغ أطوال كل جابية من جوابي المسجد من الداخل حوالى متر مربع تقريباً ولا يزيد عمقها على ذلك أيضاً ، وقد جصصت جدران جميع الجوابي بالنورة وزخرفت بخطوط متوازية بارزة ومتدرجة ، ويوجد بكل جابية (رَفٌ) خشبي يمتد بين جدرانها الجانبية (لوحة 17) ، وبالتأكيد فإن المعمار قد احتاط لحدوث أي تأثير قد يحدثه الماء على الجدران والأرضية ، فجعل متانة الجدران ومواصفات النورة فيها أكثر من غيرها ، حيث تستعمل في السابق في حضرموت

---

333 – تستعمل جذوع النخيل والسعف وبعض الخشاب والحطب لعملية الإحراق هذه ، ولم تعد مستعملة في الوقت الحاضر وتم في أغلب المساجد تعطيل هذه الوظيفة وتسوية أرضيات الجوابي على الطريقة الجديدة وهدمت المساخن .

Scanned by CamScanner

النورة مخلوطة مع قليل من الرماد المُصَفَّى الناتج عن حرق الحطب والأخشاب الجيدة إضافة إلى البطحاء (الرمل) الناعم والخشن ، وذلك بعد رصف الأرضيات بالحجارة ودعكها جيداً وتكرار ذلك ثم طلائها (رشوشتها)[334] بالنورة حتى لا تتشقق ولا تتأثر بالماء فيها وتُصَان باستمرار ، حيث يهتم بها أشخاص بعينهم في كل مسجد ويسمى هذا الشخص (عَمَّارْ) لكونه يقوم بعمارة المسجد المخصص.

لكل جابية من الجوابي باب خشبي ذو مصراع واحد وله مغالق خشبية من الداخل ومن الخارج ، وتسمى المغلقة الخارجية (قالودة) ويكون لها أقليد تغلق به، في حين تسمى الداخلية (صُنْبَعَهْ) ولا يكون لها أقليد .

بجوار الجوابي عند الممر الذي يربط بينها أنشئت دكة طويلة مبنية من الطين المجصص ترتفع عن أرضية الممر بحيث يتم الجلوس عليها للانتظار لمن أراد عند انشغال الجوابي أو المطاهير الموجودة بالقرب منها . وتقع هذه الدكة في الجهة الشمالية والجهة الجنوبية.

ويوجد في المسجد شخص أوكل إليه ملئ هذه الجوابي بالماء كل يوم من البئر الخاصة بالمسجد عن طريق السناوة ، حيث تذكر وثائق المحضار بأن السيد علوي بن شهاب حين كان ناظرا خاصا عن صدقة مسجد الشيخ عمر المحضار قد اتفق هو وحميد بن سعيد باجهام على أن يملأ حميد المذكور جوابي مسجد

---

334 ـ الرشوشة : من الفعل رش ، ويقال في حضرموت رشوشة أي الطلاء بالنورة بواسطة فرشاة من سعف النخيل تسمى (مكنسة ، مصافة).

Scanned by CamScanner

المحضار (عشر جوابي) كل يوم مع التزيود[335] والسناوة ، وذلك لمدة أربع سنوات ابتداء من سنة 1383هـ وحتى سنة1386هـ [336].

البئر :

تقع في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد بجوار الجوابي عند المدخل الغربي للمسجد ولا يزيد قطرها عن متر ونصف المتر ، وجدرانها مضفورة بحجارة صغيرة ومتوسطة غير مشذبة أو موقصة[337]، ولم تستخدم المونة[338] فيما بينها إلا أنه استخدمت قطعٌ من الحجارة الصغيرة المتبقية من تكسير الحجارة عند تسويتها .

عمق البئر يتراوح بين 30 -40 متراً ، والواقع أن العمق قد يزاد كل عام بواقع يتراوح بين المتر والمترين تقريباً نتيجة لغور المياه بسبب الجفاف الذي ينتاب المنطقة ، فهم يقومون بين الحين والآخر بزيادة حفرها وتعميقها تبعاً لظروف وجود الماء بها . ويعلو حوائط البئر جدران طينية تسمى (التَّشْرُوَعَة) حيث تعلق (البَكَرَةْ) أو الاسطوانة التي تدير الحبل و تُسمى في حضرموت(السِّرَةْ) وتسحب حتى يشرف الدلو على(الثارة) وهو حوض 1,5م ×80 سم يلتصق بجدار البئر ليصب ماء الدلو فيه ، وترتبط (الثارة) بساقية صغيرة توصل الماء إلى

---

335 التزيود : هكذا وردت في الوثيقة ، وهي كلمة عامية وأصلها من الفعل زاد ، بمعنى أضاف ، أي زيادة ما نقص من ماء الجوابي أو البرك.

336 – وثيقة بين الناظر المذكور وحميد المذكور ، من وثائق المسجد .

337 –وقص : البناء الحجر يوقصها توقيصاً بمعنى شذب الحجر أحسن تشذيب للبناء . (راجع: الأرياني ،مطهر علي ، المعجم اليمني في اللغة (المرجع السابق) ،ص921.

338 – المونة : سبق الإشارة إليها وتعريفها عند ذكر بناء المئذنة .

Scanned by CamScanner

داخل المسجد حيث موضع المطاهير والجوابي والأحواض القديمة للطهور . وقد تم تعطيل هذه المنشآت المائية نتيجة لعدم استخدامها في الوقت الحاضر واستبدال مواسير المياه العامة بها.

وفي الثارة أيضاً فتحة أخرى توصل الماء إلى ساقية أخرى تقوم بتوزيع الماء إلى المزرعة أو الجرب لتسقي الأشجار والنخيل .

وفي سنة 1382هـ تم الاتفاق بين ناظر الوقف السيد علوي بن شهاب مع حميد باجهام لملء جوابي المسجد كل يوم مع التزيود ناوة ، وذلك مقابل 100 شلن وخريف جرب المسجد جميعه إلا من كان له خرفة معتادة بموجب العادة ، وله محلة لائقة في الجرب[339] .

المستودعات والمخازن:

وتقع في الجهة الجنوبية باتجاه الغرب ، وتستعمل هذه الغرف كمخازن ومستودعات يتم فيها حفظ وتخزين أدوات المسجد من سجاجيد (قُطُفْ) وحصُر وكؤوس (قلاسات) الماء وفناجين القهوة ودِلالها ومستلزمات الكنس والنظافة وما يتعلق بالمناسبات التي تقام في المسجد، وقد ذكر في الاتفاق المذكور أعلاه بين ناظر المسجد وحميد باجهام بأن يقوم بكنس وفرش المسجد وغير ذلك[340] .

باب المخازن يقع في الممر الجنوبي عند بداية بيت الصلاة القديم. وآخر منفذه من الجرب ، خارج المسجد .

---

339 ـ الوثيقة السابقة .

340 ـ الوثيقة السابقة .

Scanned by CamScanner

الجَرب أو المزرعة.

يُعد المسجد من المرافق العامة التي ينبغي الحفاظ عليها وإبقاؤها في حالة سليمة نظراً للحاجة المستمرة إليها من قبل المواطنين ، وإبقاء على الدور الذي لا يمكن أن تقوم به سوى المساجد في المجتمع ، وحيث أن المساجد تحتاج لكي تبقى إلى رعاية يومية وإصلاح وترميم من وقت إلى آخر ، وفي الوقت الحاضر لا تتوافر لها مصادر تمويل لمواجهة هذه الاحتياجات اتّجه سلفنا الكرام لحل هذه المعضلة عن طريق وقف كرائم عقاراتهم وأموالهم لصالح احتياجات المساجد[341] . ومنها أمكن المحافظة على جميع المساجد من خلال تعميرها بالريع الذي تدره هذه الأوقاف التابعة لها .

ومن أجل ذلك فقد أوقف صاحب المسجد أملاكاً تدر ريعاً على المسجد كغيره من المساجد الأخرى ، ولعل أهمها وأقربها تلك المزرعة أو الجرب الملاصق للمسجد من الجهة الجنوبية ، و تبلغ مساحته نحو 1500 متر مربع تقريباً ، وهو قطعة أرض على شكل مثلث متساوي الضلعين رأسه باتجاه الجنوب . إضافة إلى الأملاك التي ذكرت في وثيقته وهي في مناطق متعددة منها ما هو في منطقة عَرَفْ من أعمال الشحر المحروسة ومنها ما هو في وَاسِطْ والبَرَحْ الذي بساحة تَبَالَة والبئر التي في المقد وعويم والغيظة[342] . و كذلك الأراضي والذبور التي بحضرموت في تريم أو في أسفل العَجز و السَّوْم من نخل وعيون آبار أو في يَبْحَر وغير ذلك ، وقد قسمها وشرط على الورثة عمارة المساجد المذكورة[343] .

ومن خلال تتبع سير العلماء في حضرموت بخاصة فقد وجدنا أنهم قد أوقفوا الكثير من أعز وأجود أموالهم صدقة للمساجد أو أوقافاً تابعة لها ، ومازلنا

341 – السمان ، علي بن علي ، الأوقاف والإرشاد في موكب الثورة ، صنعاء ، 1987م ، ص148.

342 – وثيقة الوقف المذكورة .

343 – وثيقة الوقف المذكورة .

Scanned by CamScanner

إلى اليوم نعرف الكثير من الأراضي التابعة للمساجد وهي مساحات هائلة من الأراضي الزراعية . أما المحضار فقد كان يملك الكثير من الأرض في وادي حضرموت وكذا في الكثير من قرى المناطق الساحلية التي يتردد عليها مثل عَرَف[344] وواسِط وتَبَالة والشِحر وغيرها ، وقد كان يتصدق بالكثير من ماله على الفقراء و يطعمهم ، ويصرف على الكثير من الأسر الفقيرة .

وفي جرب المسجد هذا تزرع النخيل التي تمَوِّن المسجد طوال أيام السنة بالتمر حتى حلول شهر رمضان حيث يقدم للفطور ويتصدق منه ، كما يباع ريع بعض المزارع لصالح المسجد وخدمته.

ولهذا الجرب سور يحيط به مبنيٌّ من الطُّوب اللّبن ، ويبلغ ارتفاعه 2,5 متراً ، وبه دعامات صغيرة موزعة على مسافات ثابتة تبلغ حوالى خمسة أمتار تقريباً وتبرز من الجدار بنحو 30 سم من الداخل وكذا من الخارج .

344 ـ الشلي ، محمد ، المشرع الروي ، (المرجع السابق)، ص 527.

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني

الزخارف والنصوص الكتابية

أولاً :

الزخارف:

كانت الفنون قد بلغت مبلغاً عظيماً في حضارات العالم قبل ظهور الإسلام، فنجد في العمارات التي يبنيها الإنسان كالمعابد أو القصور أو الكنائس وغيرها أن الفن هو الأساس في تجميل وتزويق مبانيهم ، ولقد تباهت الحضارات بفن النحت في العمارة فنحتت التماثيل الآدمية والحيوانية بشكل يصل إلى تقليد النُّسَب وإبراز الحركة في الصور مما يخيَّل إليك أنها ستتحرك ، وفي الرسم والتصوير بلغ كذلك مبلغاً من الدّقّة والإبداع في تكوين وإنشاء مناظر وقصص على جدران المعابد والكنائس والقصور وغيرها من المنشآت التي كان يبنيها ، فظهرت أساليب وطرق تجسد الشخصيات والصور الطبيعية كما لو كانت أنها التقطت بآلة التصوير الحديثة اليوم . وما زالت تلك الآثار بارزة في شتى بقاع المعمورة يرتادها السياح من كل مكان ، ويقوم بدراستها علماء الآثار في كل زمان .

ثمَّة قضية يجب التعرض لها ولو بشيء من الذكر العابر وهي قضية بتر أصول حضارة الإسلام وجعل نقطة البداية لهذه الحضارة تبدأ من الصفر عند بداية عهد الإسلام وكأن الزمن السابق برمته منفصلٌ عن المسلمين وعن تاريخهم ، وبهذا نحب أن نوضح ما خلاصته ، إن الإسلام دين عدل ودين عزّة ودين حق

Scanned by CamScanner

وغير ذلك من القيم الحميدة التي لا يختلف اثنان حولها ، ولكن يجب الاعتراف بأن هذا الدين قد جاء وحضارة العرب وثقافتهم ومعارفهم قد بلغت مبلغا عظيماً ضاهت به الأمم السابقة ، فما زالت إلى اليوم الآثار العمرانية تشهد على عظمة وقوة وتدبير عقلية العرب فيما قبل الإسلام ، ونحن يجب أن نضع في الاعتبار أننا حين نقارن تراثنا الإسلامي (الذي أنتج بعد مجيء الإسلام) بتراثنا فيما قبل الإسلام (الذي توارثته الأمم منذ نشأة الخليقة وحتى وقت مجيء الإسلام) لا يعني أن الإسلام برئ من ذلك التراث بالمعنى السائد ، ومع أننا لا ننكر أن الدين الإسلامي قد حرم الأصنام وما في معناها ، ولكن لا يعني ذلك أن نتخلى عن تراثنا وننسبه إلى أمم لا صلة لنا بها ، فنحن نتصل شئنا أم أبينا بتلك الأمم ويشرفنا أنهم كانوا بناة حضارة عظيمة ،و يؤسفنا أننا فقدنا علومهم وعقولهم التي نحن بحاجة إليها في خدمة هذا الدين القويم الذي هذب سلوكنا وجعل لحياتنا هدفاً سامياً ونبيلاً واضحاً كما ورد في قوله تعالى " وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون " [345].

يقول (فريد شافعي) : لقد أنكر العلماء الغربيون على العرب القيام بإنشاء العمارة في الجزيرة العربية في الفترة السابقة على الإسلام ، كما أنهم اتجهوا وجهة مشتركة هي بحث أصول الحضارة العربية الإسلامية بوجه عام ، وبالتالي أصول العمارة الإسلامية بطريقة يهدفون منها إلى نسبة تلك الأصول إلى مصادر غير عربية وغير إسلامية[346] .

لقد وصل الفن الإسلامي إلى ابتكار فن جديد له سماته ومميزاته التي تعكس الشخصية الإسلامية وتبلورها ، فتسمو بها إلى درجة لم ترق إليها الفنون الأخرى السابقة على الإسلام رغم عظمتها وضخامة إنتاجها مثل الساسانية والبيزنطية وغيرها من فنون العصور القديمة ، وكان للدين الإسلامي أن جمع

---

345 ـ آية 56 ، سورة الذاريات .

346 ـ العميد ، طاهر مظفر (د)، تخطيط المدن العربية الإسلامية ، (المرجع السابق)، ص104.

Scanned by CamScanner

وألّف بين شعوب عربية وغير عربية في وحدة يجمعها التمسك بدين الإسلام واحترام عقيدته التي أرست لها قواعد مغايرة للديانات السابقة عليه ، وكذا النحل التي كان عليها البعض .

اختلفت الآراء عند كثير من علماء الفنون والآثار والتاريخ حول قضية ظهور الفن الجديد الذي تلبس به هؤلاء المسلمون وجعلوه خاصاً بهم بما فيه من سمات التجريد والتحوير التي جعلت الطبيعة بعيدة عنه وأبقت على شيء من معالمها فيه ، فأسماه البعض الفن العربي وأطلق عليه آخرون الفن المحمدي ، وعرفه الكثير بالفن الإسلامي ، والأخيرة بحق جعلت المصطلح أكثر شمولاً و أبهى تعبيراً من غيره. إذ أن الإسلام لم يقتصر على العرب فحسب أو فئة أو أسرة معينة بل شمل الشعوب كلها ، ولذلك حري بنا أن نطلق على ما ينتج في هذا العصر باسمه كونه هو الذي جمع المنتجين في بوتقة واحدة وهو السبب في لمّ شملهم ورأيهم على كلمة واحدة ورفع راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

وظهرت الكثير من النظريات حول انتشار هذا الفن وحول تحريم الفنون الأخرى أو نبذها كالتصوير والنحت ، وقد انقسم فيها العلماء إلى فريقين ، فريق يحرم التصوير وفريق أباحه ولم ير فيه ما يمكن أن يجعله محرماً ، وذلك بشروط أهمها ألا يكون للصورة ظل أو ما يسمونه (البُعد الثالث) أو التجسيم ولو بالألوان وغير ذلك ، وقد استشهد الفريق الأول ببعض آيات من القرآن ومنها (هُوَ الَّذِيْ يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلهَ إِلاَ هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ)[347].

ومن خلال هذه الآية التي تدل صراحة على أن لا مصور ولا خالق إلا هو، فقد عَدَّها العلماء حُجَّة على المصورين ، واستدلوا كذلك ببعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد ذلك ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ يَصْنَعُونَ

---

347 ـ آل عُمران ، آية 6./ أي يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى وحسن وقبيح وشقي وسعيد (تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ،ج1409،1هـ/1989م،ص352.

هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُمْ احْيُوْا مَا خَلَقْتُمْ[348] " وكذلك " أَشَدُّ النَّاس عَذَاباً عِندَ الله يَومَ القِيَامَةِ الَّذينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله[349] " ، وأيضاً " كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِ صُوْرَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ ، فَيُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ [350]" ، و" لا تَدخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتَاً فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُوْرَةٌ[351] ".

وبهذه الأدلة استشهد بعض العلماء على تحريم التصوير ، لذا كان على الفنان المسلم أن يسلك طريقاً يجتنب فيه هذه الشبهات ، لذا ابتكر ما عُرفْ اصطلاحا بفن الأرابيسك أو (الرقش العربي) ، وهو فن عربي انتشر فيما بعد إلى دول أخرى غير عربية إثر الفتوحات الإسلامية ،وقد وجد في انجلترا منذ عصر الملكة (اليزابيث) حيث يعطي دلالة على أن الغرب مدين بهذه الزخارف للعرب في القرون الوسطى[352]. وكما يسميه البعض (التَّوريق) ، ولعل الرقش العربي أشملُ وأعمُّ من التَّوريق التي اقتصرت على الزخرفة النباتية فحسب ، وكان بعض الفنانين يعتقدون أن في مدرسة التجريد والتحوير طريقة للهروب من عقاب الله وتوعد المصورين بالعذاب . فأنتج فناً بديعاً راقياً نما وتطور بمرور الوقت حتى تبلور وأصبح ذلك الفن رائداً بين الفنون مع ما فيه من تجريد وتحوير كبيرين بعيدين عن المادية ، وبعيداً عن التجسيد الواقعي لمخلوقات الله .

وقد ظهرت كلمة أخرى تتوازى مع (أرابيسك) هي (مورسك) لتطلق على زخارف الفنون الإسلامية في الغرب الإسلامي لتمييزها عن زخارف المشرق الإسلامي ، ولكن كلمة (أرابيسك) مازالت تشمل الزخارف الإسلامية النباتية كلها بوجه عام في المشرق والمغرب ، بينما أصبحت كلمة (مورسك)

---

348 – النووي ، محي الدين ابن زكريا يحيى بن شرف ، رياض الصالحين ، بيروت ، 1988م، ص485.

349 – النووي ، محي الدين ابن زكريا يحيى بن شرف ، (المرجع السابق) ، ص486

350 – النووي ، محي الدين ابن زكريا يحيى بن شرف ، (المرجع السابق) ،ص486

351 – النووي ، محي الدين ابن زكريا يحيى بن شرف ، (المرجع السابق) ،ص487

352 – وزيري ، يحيى (م.د) ، (المرجع السابق)، ص87.

Scanned by CamScanner

تستخدم في اللغات الأوروبية للفنون الإسلامية في المغرب الإسلامي بصفة عامة[353].

ومن هنا فإن الانفعال الداخلي الذي يعتملُ في ضمير المؤمن كان يربطه دائماً بالمثل الأعلى للخلق الذي لا تسعه حدود الشكل المادي بل تضيق عن إطاره.

وفي هذا يقول بريون " إن الفن التجريدي كما يبدو لي أكثر قدرة من الفن التشبيهي على التعبير عن روحانية عميقة وعالية ، وذلك لأنه لا يرتبط بالشكل التمثيلي ، ولأنه أيضاً يستطيع بدون وساطة هذا الشكل أن يثير مباشرة وحالاً حالات عاطفية وانفعالية أكثر محضيَّة من تلك التي يثيرها الشكل التمثيلي[354]".

وهكذا وصلت هذه الزخرفة والفنون الإسلامية بقالبها الجديد لتضفي على حياة الفنان المسلم ، وعلى مقتنيها شعوراً جديداً بعيداً عن المعتقدات السابقة ، فقام بتزويق مبانيه وأدواته بها ، وصبغها بخاتمه المميز حتى وصلت إلى صور راقية متطورة.

والجدير بالذكر أن أول ما بدأت زخرفة المساجد كانت في عهد معاوية بن أبي سفيان ، حيث قام واليه على مصر في عام (53هـ/ 674 م) مسلمة بن مخلد بزخرفة مسجد الفسطاط العتيق ، ويروى أيضاً أن الخليفة عثمان بن عفان كان قد استعمل الأحجار المنقوشة في بناء مسجد الرسول ﷺ،[355] وانتشرت بعد ذلك زخرفة المساجد والأضرحة وغيرها من أماكن العبادة .

وقد ظهرت أنواع مختلفة من الفنون من حيث المواد التي تم تنفيذ الأعمال الفنية بها أو عليها ، فثمَّة ما نفذ على الحجر والجص والآجر والمرمر والرخام والخشب والمواد النفيسة الأخرى التي طُعِّمَت بها بعض القطع الأثرية أو عُشِّقَت

---

353 – مونس ، حسين(د) ، (المرجع السابق)، ص156.

354 – هنسي ، عفيف ، الفن والاستشراق (موسوعة تاريخ الفن والعمارة) ، ط2 ، بيروت ، 1983م ، ص148.

355 – السمان ، (المرجع السابق) ، ص72.

Scanned by CamScanner

و كُفّتْ ، وهي أساليب فنية عرفها العرب المسلمون قديماً وزاولها الفنانون المسلمون في منتجاتهم في مختلف العصور الإسلامية ، ولعل من القطع الأثرية الفنية التي مازالت الكثير من مساجد حضرموت محتفظة بها مثل المنابر أو الأبواب أو كراسي المصاحف . حيث كانت صناعة التحف الخشبية من الميادين البارزة في تاريخ الفنون الإسلامية[356] . وأهم ما يلاحظ على الحفر على أخشاب العصر الأموي 41-132هـ (661-750م) وضوح التأثيرات الساسانية والهلينستية والقبطية فيها سواءً في طريقة الحفر العميق أو تصوير الطبيعة في حفر العناصر الزخرفية كعناقيد وأوراق العنب والورقة النباتية ذات الفصوص الثلاثة والفروع الملتوية التي تنحصر بينها العناصر الزخرفية الموروثة عن الفن الهلينستي[357] . ومنذ بداية القرن التاسع الهجري (15م) كان للعوامل الاقتصادية والسياسية أثرها في الضعف الذي تسرب إلى هذا الفن وغيره من الفنون الأخرى فقل ظهور الرسوم الزخرفية بأنواعها ، كما استخدم العظم بدلاً من العاج في التطعيم وكثر استعمال الحشوات ذات الزخارف المحفورة والمطعمة بالعاج التي امتاز بها العصر المملوكي الزاهر[358] .

مما تقدم في الأبواب السابقة التي كان التفصيل فيها مقتصراً على الجانب المعماري تابعنا التطورات التي طرأت على العناصر المعمارية في مسجد المحضار منذ نشأته وحتى وضعه الحالي متتبعين مراحل البناء وما أدخلت عليه من عناصر وما تم ترميمه وتجديده أو تغيير وظيفته بحسب الحاجة إليه تبعاً لتغير الوضع أو تغير استخدامات معينه فرضها الزمن .

---

356 ـ حمودة ، محمود عباس ، (د) ، دراسات في علم الكتابة العربية ، مكتبة غريب ، الفجالة ، (د.ت) ،ص149.

357 ـ حمودة ، محمود عباس ، (د) ، (المرجع السابق) ، ص149 .

358 ـ حمودة ، محمود عباس ، (د) ،(المرجع السابق) ، ص153.

Scanned by CamScanner

وفي هذا الباب الخاص نستعرض الجانب الزخرفي والنصوص الكتابية مع ندرتها وقلتها في هذا المسجد ، بل ربما في مساجد حضرموت بشكل عام ، وهي الميزة التي تنفرد بها حتى وقت قريب . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم وضعها في الأولويات ، ذلك لكون الزخارف وما شابهها من عناصر التزويق والتجميل ليس لها أية أهمية لدى العلماء ورجال الدين في حضرموت ، فقد كانت حياتهم تميل إلى التواضع الزائد والابتعاد عن كل المظاهر التي قد تشغلهم عن دينهم وتشوش أفكارهم التي هم بحاجة ماسة إلى تسخيرها فيما يقرب إلى الله والتفكر في ملكوته والتمعن في العلوم النافعة والنهل من ينابيعها والغوص في بحورها أملاً في مرضاته واتقاء غضبه وعقابه.

وبعد هذه الديباجة السريعة عن الفن الإسلامي التي نفترشها سجادة لموضوعنا في هذه الدراسة وحتى نكون على بيِّنة – ولو يسيرة – عن أصول هذا الفن وما واجهه في بداية مشواره وما وصل إليه اليوم من مكانة مرموقة بين الفنون الأخرى ، فإننا سنحاول التطرق إلى الموضوعات الزخرفية – رغم قلتها أيضاً – وسنقسمها إلى حيث تنتمي .. هندسياً أو نباتياً ، وسنفصل أغلب النماذج الزخرفية التي حواها جوف المسجد وهيكله الخارجي الذي تحلى وتزين بها ، والبقية يمكن الاعتماد في تفاصيلها على رؤية المفرغات في نهاية الدراسة أو بعض الصور التي أخذت لها .

ومن خلال النظرة العابرة على أنواع الزخارف ومواقعها في مسجد المحضار ، فإننا نلاحظ أن الزخارف الهندسية – وهي الغالبة- جاءت في أشكال هندسية مختلفة (مثلثات ، مربعات ، مسدسات ، مثمنات ، دوائر) متداخلة بعضها مع بعض مكونة بذلك أشكالا مركبة أخرى ذات أضلاع متعددة (أنظر الأشكال المرفقة 16،15،12،11) ، وأخرى منفردة أيضاً . وثمَّة ما هو على شكل

Scanned by CamScanner

الدخلات والخرجات التي نجدها في الأسوار القديمة في اليمن القديم ،(شكل 15،16)، والدخلات والخرجات المتدرجة (شكل15) ، ثم الزخارف الزجزاجية .

أما الزخارف النباتية المجردة والمحورة ، وقوامها فروع نباتية تتفرع منها وريقات متموجة ممتدة غير منتهية ، كما أنها ليست لها بداية محددة ، وهي المعروفة في الفن الإسلامي – كما أسلفنا – بمصطلح الأرابيسك أو الرقش العربي أو غير ذلك .

الزخارف الهندسية:

وهي التي تتكون من تراكيب الأشكال الهندسية والخطوط المستقيمة وغير المستقيمة والمنحنيات وخلافه ، وربما استعمل في تنفيذها أدوات هندسية ، وتتركز هذه الزخارف على المحاريب الثلاثة في بيت الصلاة الجنوبي .

زخارف المحرابين اليمن والأيسر ببيت الصلاة الجنوبي :

هذان المحرابان متطابقان في تصميمهما المعماري وفي زخارفهما الهندسية والنباتية . إذ توجد على جانبي العمودين اللذين يتقدمان دخلة المحراب من أسفله حتى مستوى بدن المحراب قرب الطاقية زخارف نباتية تعلوها زخارف هندسية في المنطقة الواقعة على جانبي توشيحة المحراب . وهذه الزخارف

Scanned by CamScanner

محصورة داخل مستطيل اتساعه 25 سم ، وارتفاعه حوالى 75 سم وبداخل هذا المستطيل نفذت الزخارف الهندسية المؤلفة من أشكال مثمنة عددها خمسة متداخلة فيما بينها عمودياً ، بحيث تكون نقطة التداخل التي تربطها قرب مركز الشكل المثمن نفسه ، وتتداخل من الجوانب كذلك أنصاف الشكل المثمن نفسه ، بحيث تتقاطع المثمنات من الجهات الأربع مع المثمن الرئيسي في الوسط ، وكل مثمن من هذه المثمنات تتوازى أضلاعه الأربعة المسلوبة (وليس الرأسية أو الأفقية) بخطوط بحيث تكون شكلاً مربعاً . وكل زاوية من زواياه مقابلة لكل ضلع من أضلاعه الرأسية والأفقية[359] (شكل 12) ، ويعلو هذا المستطيل مستطيل آخر صغير اتساعه 25 سم ، كاتساع المستطيل السابق . أما ارتفاعه حوالى 8 سم ، وقوام زخرفته خطوط طوليه مستقيمة عددها سبعة ، لُوِّنَت هذه الزخارف بلون واحد وهو الرمادي الذي يميز الزخرفة عن خلفية الجدار الذي اتخذ لون الجير الأبيض . وهذه الزخارف البارزة التي تم تنفيذها بالطين الممزوج بالأشنان . كما يعلو هذا المحراب والشريط السالف ذكره شريط آخر عريض يبلغ ارتفاعه (عرضه) حوالى 35 سم ، ويمتد أسفل سقف المسجد بطول أكثر من سابقه ، وقد نفذت عليه الزخارف الهندسية التي قوامها معينات متداخلة فيما بينها عند زواياها ، إذ يدخل جزء من زاوية كل معين في زاوية المعين الآخر بمقدار ثلث الضلع ، بحيث يكون معين آخر صغير في كل زاوية ، ويظهر الشكل الداخلي للمربع الأساسي على شكل علامة (×) . وهذه المعينات تكون في أربعة صفوف ، الصف الأول هو الأسفل وهو أنصاف معينات ، إذ يظهر من كل معين الضلعان المتجاوران فقط ، متداخلين مع المعين الذي يعلوه ، ثم صفان من المعينات الكاملة المتداخلة من جميع الجهات بعضها مع بعض ، ثم الصف الآخر العلوي ، ويكون

---

359 – للمقارنة يمكن الإطلاع على نفس النمط من الزخرفة في كتاب المهندس أسامه النحاس : الوحدات الزخرفية الإسلامية ، القاهرة ، 1985م ، ص228.

Scanned by CamScanner

مماثلاً للصف الأول، أي لا يظهر من كل معين سوى ضلعين متجاورين مكونين زاوية قائمة مقلوبة . (اللوحة 12) ، (شكل 11) .

الزخارف التي أسلفنا ذكرها نجدها أعلى وحول المحرابين الأيمن والأيسر من محاريب بيت الصلاة الجنوبي ، أما المحراب الأوسط لنفس بيت الصلاة فلأن فيه زخارف هندسية في بدنه من دالات بارزة فقد جاءت على النحو التالي:

دالة كبيرة في الوسط قاعدتها إلى أسفل ورأسها إلى أعلى ، وهي مقسمة إلى قسمين بخط طولي واحد يتعامد مع القاعدة ، وإلى جانبيه دالتان صغيرتان قاعدتهما إلى أسفل ورأساهما إلى أعلى ، ثم على جانبيها نصف دالة ، مما يدل على امتداد الزخرفة بهذه الدالات .

ونجد زخرفة أخرى قوامها سلسلة من دوائر مطموسة متباعدة تحيط ببدن المحراب من الخارج كإطار له ، كما يحيط بطاقية المحراب الأوسط زخرفة قوامها دخلات وخرجات على هيئة العقد نفسه.

زخارف المئذنة :

رغم رشاقة وجمال المئذنة من الناحية المعمارية ، إلا أن هذا لم يكن كافياً بالنسبة للمعمار ليبقيها مجردة خالية من الزخرفة ، لذا فقد أضاف حليات وزخارف على بدنها من قاعدتها حتى قمتها ، فقد حُلّت القاعدة بمشاكي غائر ،جزء منها " دخلتها " وبارزة حلياتها الزخرفية ، (لوحة 5) (شكل 5،6) . إذ تحل

Scanned by CamScanner

القاعدة من الجهة الشرقية المطلة على خارج المسجد أربع مشاكي ، كل اثنتين منها على هيئة زخرفية تختلف عن الأخُرَيَيْن .

المشكاتان السفليتان أقل تعقيداً من غيرها ، وهي عبارة عن دخلة مستطيلة متوجة بعقد مدبب انسيابي الجانبين يتقدمها إطار على هيئة عمودين مخلقين يعلو كل منهما تاج مسلوب ينطلق منه عقد مزدوج كنظيره السفلي .

يتقدم جانبيه عمودان آخران يماثلان العمودين السابقين ويتناظران مع كليهما ، وينطلق منهما عقد مدبب انسيابي أيضاً يتكئ على شَمْر وتفصيص لكل من الجانبين (شكل 5).

أما الشكل الآخر من مشاكي المئذنة الذي يحلي المستويات الخمسة المحورة بين القاعدة والجوسق ، فأنه دخلة مستطيلة متوجة بعقد مزدوج مدبب انسيابي الجانبين ، ويشغل ثلثي الدخلة من الأسفل جزء من الدربزين الذي يتوج واجهات المسجد . كما تعلوه أشكال هندسية على ثلاثة مستويات متدرجة ومتوجة بقمة رمحية مدببة (شكل6) .

هذه الحلي تم عملها من الياجور الذي استخدم في عمل الدرابزينات والشمسيات التي تتوج بعض المداخل والأبواب الرئيسية للمسجد.

يزين أغلب العقود التي بالمسجد لا سيما المطلة على الصحن مثل تلك الزخارف البارزة التي استخدم فيها الطين الممزوج بدقيق الأشنان ، فيتوج العقد من الخارج بعقد مدبب مشمور انسيابي الجانبين يتكئ على شمْر تنطلق من قمة تاج الأساطين التي تحمل العقود (شكل 18).

أما المدخلان الرئيسيان الواقعان في الجهة الشرقية فيتوج دخلتهما عقد مدبب انسيابي الجانبين مفصص يتكئ على شَمْر لكل من الجانبين أيضاً (شكل19).

Scanned by CamScanner

لم تقتصر الزخارف الهندسية على الجدران في المقصورة الجنوبية حول المحاريب وعلى جدران المئذنة وحول المداخل والأبواب فحسب ، بل نجدها تمتد إلى أكثر من ذلك لتصل إلى أغلب الأبواب الخشبية أيضاً . ولكن أوضحها تلك التي نفذت بطريقة الحفر على الباب الأوسط من الأبواب التي تفصل بيت الصلاة الجنوبي عن بيت الصلاة الشمالي ، الذي يقع في الجدار الشمالي لبيت الصلاة الجنوبي .

قوام زخارف هذا الباب هندسية ، مثلثة ومستطيلة ومربعة ومعينة وأشكال رؤوس سهام مقلوبة ودوائر وأشكال دخلات وخرجات ومشابهة لها دخلات وخرجات متدرجة وأشكال مركبة أخرى ، وردة ثمانية البتلات وأشكال عقود حدوية وأشكال هرمية .

لقد تم حفر هذه الأشكال على قطعة خشبية بإتقان وتناسق تامين ، وقد توجت هذه القطعة قمة الباب الأوسط فأعطته مسحة جمالية رائعة ميزته عن غيره من الأبواب الأخرى (لوحة 4) (الأشكال16،15). وهذه القطعة تسمى (تاج) ويوجد منها الكثير على الأبواب القديمة في حضرموت في المساجد والقباب والبيوت والقصور ، ومنها ما هو معروض في قاعة عرض المتحف لعرض الآثار الإسلامية بسيئون مع بعض اختلاف في التكوينات الزخرفية .

Scanned by CamScanner

ثانياً :

الزخارف النباتية :

إن الزخارف النباتية محصورة تماماً على المحرابين الأيمن والأيسر لبيت الصلاة الجنوبي ، فنجد على كل من جانبي عمودي دخلة المحراب مستطيلاً يمتد بعرض حوالى 25 سم وارتفاعه حتى نهاية بدن المحراب قرب طاقيته ، وقوام زخرفته تفريعات ورقية نباتية متقابلة ومتناظرة تبدأ من مركز واحد وتنطلق منه متفرعة إلى اليمين وإلى اليسار وإلى الأعلى وكذا إلى الأسفل بتناغم رتيب وتتكرر هكذا متصلة لها عند نهايتها لتكون بداية للتي تليها ولا تنتهي زخرفة أو فرع فيها حتى يبتدئ منه آخر وكأنها تبتدئ لكي لا تنتهي وتستمر دواليك إلى نهاية المستطيل الذي يحد من امتدادها . وتشبه هذه الزخرفة زخارف أخرى وجدت في مثيلاتها من الدول الإسلامية وتكاد تتطابق معها لدرجة كبيرة ، فثمَّة زخرفة مماثلة ترجع إلى القرن العاشر الميلادي محفوظة في متحف الفن الإسلامي في القاهرة تبدأ زخرفتها من المركز بأوراق نباتية لولبية متفرعة ، منفذة بتوازن يغطي الشكل المستطيل ، وهي منفذة على الخشب[360] .

إن الزخارف النباتية هي زخارف سعف مصاغة على شكل مدبب يشبه القرن التي تزين المحرابين الأيمن والأيسر ببيت الصلاة الجنوبي تشبه عناصرها الزخرفية تلك العناصر الزخرفية إلى حد كبير التي وجدت في حشوات مسجد

---

360 ـ كريسويل ، أرنولد بريجز ، تراث الإسلام ، ترجمة : زكي محمد حسن ، ط1، دمشق ، 1984م ، ص77.

Scanned by CamScanner

السيدة أروى بنت أحمد في جبلة[361] . ويرى (هرتزفيلد) بأن هذا النمط متطور عن الأسلوب الفني في سامراء في طوره الثاني إلى هذا الشكل التجريدي [362].

كما أن الزخارف الهندسية التي تزين المحراب الأيمن والأيسر أيضاً تشبه تكويناتها بعض العناصر الزخرفية التي تشكل شرائط مضفرة في نفس مصندقات مسجد السيدة بنت أحمد في جبلة[363] .

أما عن زخارف التوشيحات التي تزين المحرابين السابقين فإنهما زخارف نباتية ، فالإطار الذي يزين طاقية المحراب هو فرع غصن نباتي يحوي أنصاف وريقات تمتد من أسفل التوشيحة وتنتهي بورقة منفردة عند قمته المدببة، وبنفس الهيئة يمتد الفرع في التوشيحة المقابلة بحيث يكونان معاً غصناً نباتياً ، وقد تم فصل الساق إلى قسمين متساويين ، كل منهما زين به جانب من جوانب الطاقية ، أما داخل التوشيحة فنجد مجموعة من الفروع النباتية المكونة من ورقتين أو ثلاث أو أكثر منفصلة كل منها عن الأخرى وزعت بلا ترتيب منظم ، ولكنها تغطى المساحة كاملة من غير أن تترك خلخلة كبيرة في منطقة أو تكون مكثفة في منطقة أخرى ، ونجد في الزاوية العليا لكل توشيحة جامة[364]صغيرة زخرفت بخطوط تشع من مركزها (لوحة 12) (شكل9).

يعلو توشيحتي المحراب شريط طويل قليل العرض يحتوي على زخرفة نباتية قوامها ساق نباتي تتفرع منه وريقات مكونه من ورقتين يتوسطهما برعم

---

361 ـ البركاوي ، عبد الفتاح عبد العليم (د) ، (المرجع السابق) ، ص145.

362 ـ البركاوي ، عبد الفتاح عبد العليم (د) ، (المرجع السابق) ، ص62.

363 ـ البركاوي ، عبد الفتاح عبد العليم (د) ، (المرجع السابق) ، ص61، 62.

364 ـ يقول التوحيدي (أبو حيان) عن الجامات : " ترد عليك وتأخذ منك .. وقدرة وتحجبك عن لم ؟ وكيف ؟ ولا تنحي ولا تطلب .. أنوارها بروق تمر ... ، وإذا حصلت لك بالخصوصية لا نصيب لأحد منهما .. وهي للصون والحفظ .. وقد رمزت تلك الجامات الدائرية المركزية التي تنطلق من المركز – الجوهر ، إلى الصورة الإلهية .(راجع كتاب عفيف البهنسي : الفن والاستشراق ، (المرجع السابق) ، ص235.

Scanned by CamScanner

صغير تمتد متصلة بأخرى مشابهة لها في امتداد متماوج مستمر بحيث تكون بداية الأولى التي تتجه إلى أعلى عند نهاية الثانية التي تليها وتتصل بها وتتجه إلى أسفل في انسجام وتناغم متبادل ورغم التكرار الذي لا ينتهي إلا بنهاية المستطيل الذي حصرها ،إلا أنها لم تخلق نوعاً من الثقل عند متابعتها فانسياب الوريقات حيناً إلى الأعلى وحيناً آخر إلى أسفل جعلها كأمواج هادئة تمتد في سلاسة وخفة رائعتين (شكل 13) . وهذا النوع من الزخرفة ازدهر في كثير من بلاد الإسلام وانتشر بعدة أشكال لا يختلف كثيراً بعضها عن بعض سوى من ناحية نوع الوريقات ، فمنها أوراق العنب وغيرها من الأكانتس ، ففي مسجد أحمد بن طولون بالقطائع نجد الأوراق ذات السيقان في إطار طبيعي ، تنقسم في اتجاهين بإيقاع منتظم ، وقد نفذت بالحز أو النقر واختفى منها شكل الأكانتس وأوراق العنب نهائياً بالرغم من أنهما العنصران الرئيسيان في الزخرفة[365] . وثمَّة نموذج آخر يعود إلى القرون من السابع إلى القرن التاسع ، وهو زخرفة لولبية تتألف من تكوين ملون هلينستي يرجع إلى منطقة تركستان ، والتكوين مرسوم بطريقة منتظمة للغاية إلى حد أن الأصول النباتية الطبيعية يصعب معرفتها[366] .

والواقع أن أمثلة هذا النوع من الزخارف قد امتدت وانتشرت - كما أسلفنا - في الآثار الإسلامية انتشاراً كبيراً ، وفي قبة الصخرة من هذه الزخرفة توجد أنواع متعددة ، وقد ظهرت في أشرطة مختلفة حول المداخل والأبواب وحول رقبة القبة من الداخل وفي بعض الجدران الداخلية على هيئة إطار ممتد [367].

---

365 - حسين ، محمود إبراهيم ، (المرجع السابق) ، ص 32،33.

366 - حسين ، محمود إبراهيم ، (المرجع السابق) ، ص 29.

367 - كريزويل ، ك ، (المرجع السابق) ، ص 50-54.

Scanned by CamScanner

ثالثاً :

النصوص الكتابية :

من الأمور التي تركها لنا التاريخ الإسلامي وتدل على عقلية راجحة ودهاء فطري امتاز به الفنان المسلم عن سواه " حبه في ترسيخ ذكراه على الأعمال التي يقوم بها بطريقة مميزة ، فبدلاً من أن يضع اسمه أو توقيعه كما يحدث أحيانا فيقال من عمل أو تجديد فلان أو من صنع فلان وغيره . قام بصياغة أبيات من الشِّعْر ، وهي تاريخ لتأسيس أو تجديد أو ترميم أو إضافة أو غير ذلك مما يجب تخليداً لذكراه وتثبيتاً لحقوق من بذل جهداً حقوق الجهود التي بذلت في إنجازه ، وقد صيغت هذه الأبيات لتختتم بشطر بيت بعدد من الكلمات يكون إجمال حروفها عدداً بحساب الجُمَّل يوافق التاريخ المراد تخليده ، وقد انتشر هذا الأسلوب في العالم الإسلامي ليس على مستوى المباني والعمارة فحسب بل في صنوف مختلفة من التوثيق ، ويعد بحق أحد أنواع التوثيق في كل المجالات .

وقد سادت في العصور الإسلامية الأولى الكتابة بالخط الكوفي (ذي الزوايا الحادة والامتدادات المستقيمة) الذي عُرِفَ بالخط اليابس لقساوته وعدم ليونته . وقد استخدم كثيراً لكتابة النصوص التأسيسية أو العبارات الدعائية أو الآيات القرآنية على العمارة أو بالحفر على الخشب أو الرخام وغير ذلك من المواد القاسية التي يصعب تطويعها للاستدارات والمنحنيات الضيقة . ويرى بعض الدارسين للخطوط أن هذا لا يعني عدم وجود الخط اللين (المدور) المعروف بالنسخ في نفس الوقت ، ولكن المادة التي كتب عليها الكوفي هي التي تتحكم في إعطاء هذه الصفة اليابسة لصعوبة إيجاد الاستدارة في الحروف على المواد الصلبة ، ويستدلون بأن ثمَّة خطوطاً لينة قد ظهرت على أوراق البردي مثل بردية

Scanned by CamScanner

هشام (91هـ)[368] ، وكذا بعض النصوص التي وجدت على شواهد قبور مثل نقش أم الجمال الأول من القرن الثالث الميلادي الذي تغلب عليه مسحة التربيع ، ولكن به القليل من الاستدارات في بعض حروفه، وكذا نقش النمارة النبطي الذي يرجع لسنة 328 ميلادية وعليه مسحة التربيع والتدوير ، ونقش نبطي آخر باسم " شرحبيل بن ظلموا" من (حران) مؤرخ 568 ميلادية[369] .

وقد قام المسلمون بتأريخ مبانيهم وشواهد قبورهم وكتبهم بأساليب وطرق متنوعة ، وهي اليوم تُعَدُّ مصدراً هاماً من مصادر التاريخ ، وأصدق شاهدٍ على الكتابات الأخرى ، وبالرغم من أن الآثار الباقية من أصول بعض المنشآت الدينية والمدنية ما زالت قائمة إلا أن ثَمَّة تجديدات قد تطرأ على بعضها فتغير من ملامحها إن لم تنه كل معالمها الأولى ، وهي بالنسبة للأثري المختص ظاهرة جد خطيرة تستوجب الحد منها ومحاولة إيقافها ، وفي مسجد المحضار - كغيره من المساجد – وكما تتبعنا مراحل البناء فيه والتطورات التي طرأت عليه كان ذلك على حساب طمس الآثار القديمة فيه .

وقد استخدم المسلمون في تاريخ مآثرهم وآثارهم هذا الأسلوب (حساب الجُمَّل) وكان لمسجد المحضار حظ من ذلك ، فقد وجدنا على الباب الخشبي الأوسط من الأبواب التي تفصل بيتي الصلاة الجنوبي والشمالي نصاً كتابياً في أعلى عتبة الباب نفذت بطريقة الحفر بخط نسخي عليه قليل من التربيع لصعوبة الحفر على الخشب الأحمر ، وكان نص العبارة يدل على إصلاح الباب الخاص بمسجد المحضار ، ورغم ذلك فليس من المستبعد أن يكون ذلك مزامنا للتوسعة

---

368 – جمعه ، إبراهيم ، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الأولى للهجرة ، (رسالة دكتوراة) ، القاهرة ، 1967م ، ص54.

369 – الجبوري ، سهيلة ياسين، أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي (رسالة ماجستير) ، بغداد ، 1977م ، ص53.

Scanned by CamScanner

التي تمت باتجاه الشمال عند إضافة بيت الصلاة الشمالي للمسجد القديم الذي نواته بيت الصلاة الجنوبي أو على الأقل لا يبعد عن تلك المدة بكثير .

والنص مكتوب بطريقة حساب الجُمَّل ومضافٌ إليه أيضاً سنة الإصلاح رقماً كالتالي :

[صلاح باب مسجد المحضار 1321هـ]

والحقيقة أنه مع حاجتنا الماسة إلى معلومات مؤكدة ورغم ندرة النصوص الكتابية في عموم المسجد عدا هذا النص ، ونعزي ذلك إلى مادة البناء الطينية التي لا يمكن أن تحفظ لنا نصوصاً لمُدَدٍ طويلة نتيجة للترميمات التي تتم في مراحل قصيرة ، وهذا ما نلاحظه على الزخارف الأخرى كالتي على بدن المئذنة أو حول المحاريب ، فإن كثرة الترميم وتراكم الطلاء بالنورة يفقد الكثير من المعالم فيها وبالتالي فان أي نصوص قد تم عملها بالتأكيد ستفقد أهميتها وستطمس مع كثرة الطلاء . إضافة إلى ذلك فقد سبق الإشارة إلى أن أغلب مساجد حضرموت على وجه الخصوص لم تهتم بتاتا بهذه النصوص التأسيسية على الجدران الطينية المجصصة إن لم يكن كلها ، فلذلك من الصعب العثور على مثل تلك النصوص إلا ما هو على خشب كما هو حال هذا النص .

Scanned by CamScanner

ثانيا

الأشـــكال
و المخططات

Scanned by CamScanner

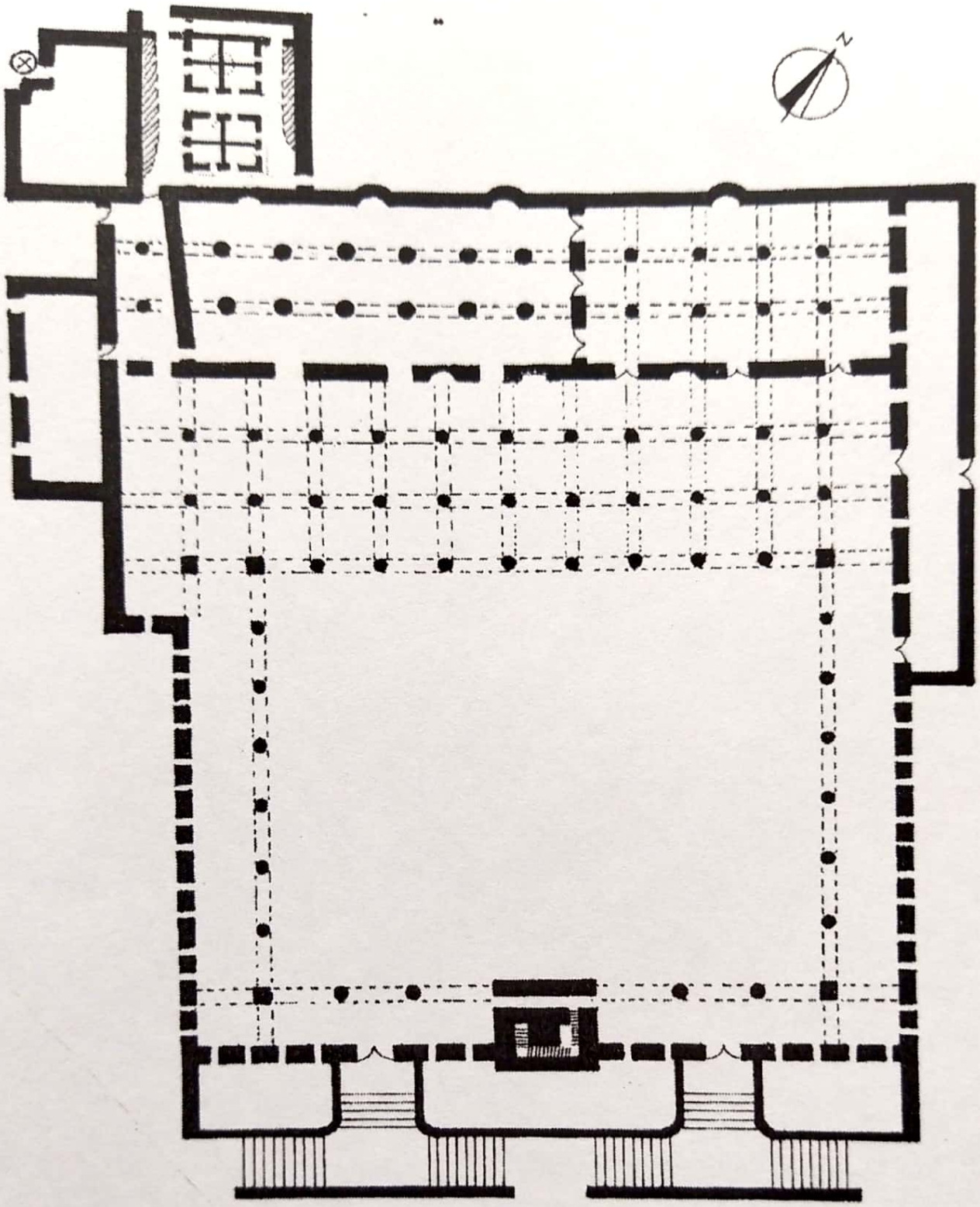

مسقط أفقي لمسجد المحضار - الباحث ١٩٩٤م

Scanned by CamScanner

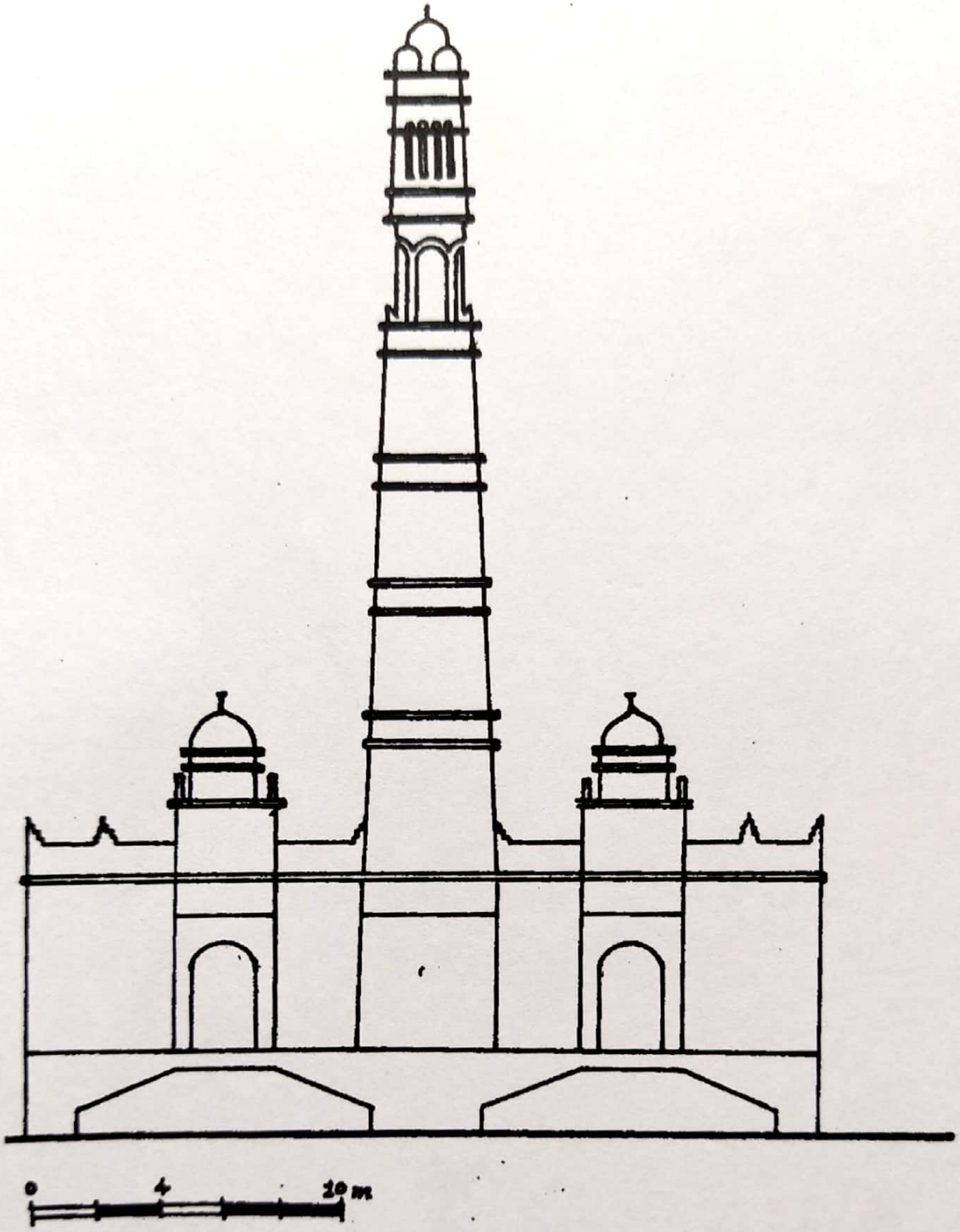

شكل ٢ - الواجهة الرئيسية الشرقية لمسجد المحضار - ١٩٩٤م

Scanned by CamScanner

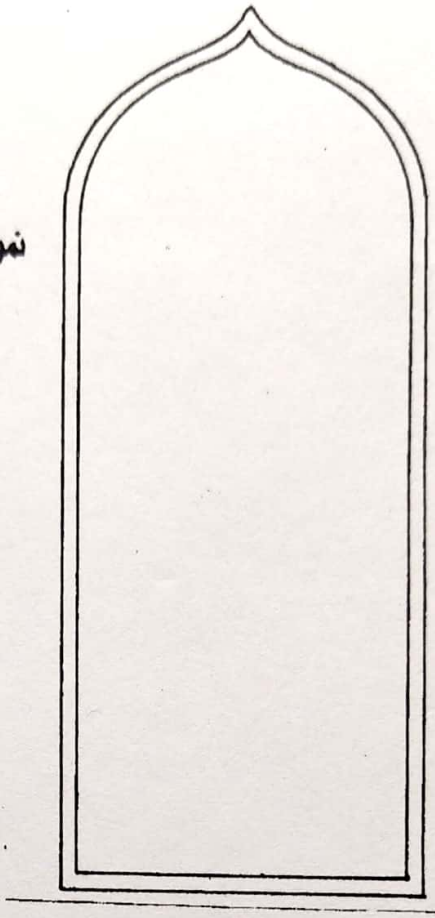

(شكل٣)

نموذج للنوافذ التي تقع في الأروقة الجانبية والرواق المقابل
المطلة على الصحن

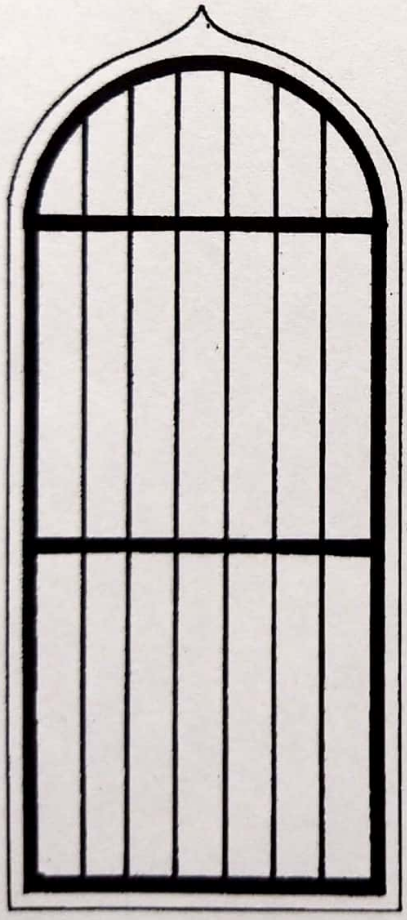

(شكل ٤)

نموذج للشبابيك التي تقع في الأروقة الجانبية
والرواق المقابل
المطلة على الصحن

Scanned by CamScanner

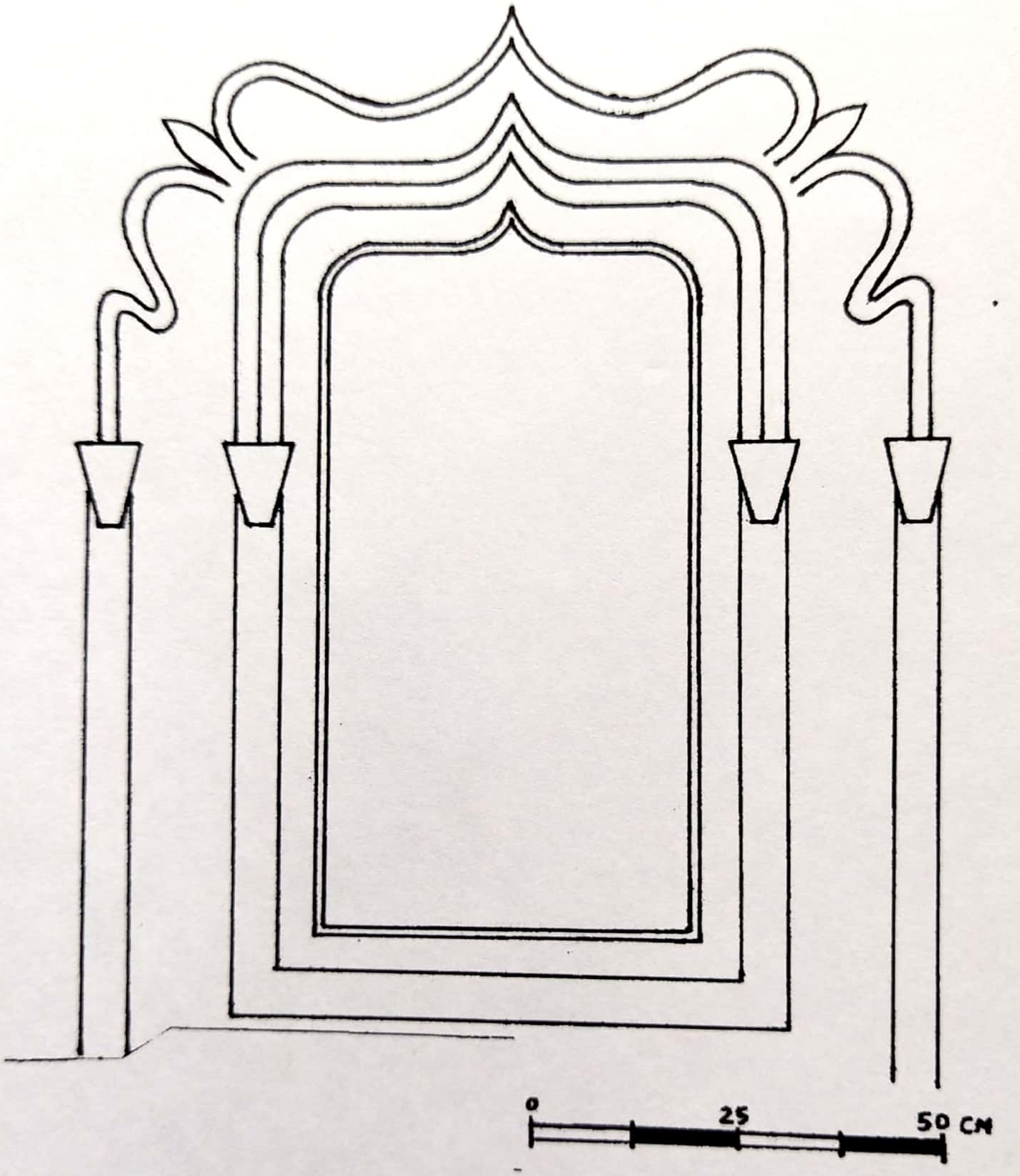

(شكل ٥) إحدى مشاكي قاعدة المئذنة

Scanned by CamScanner

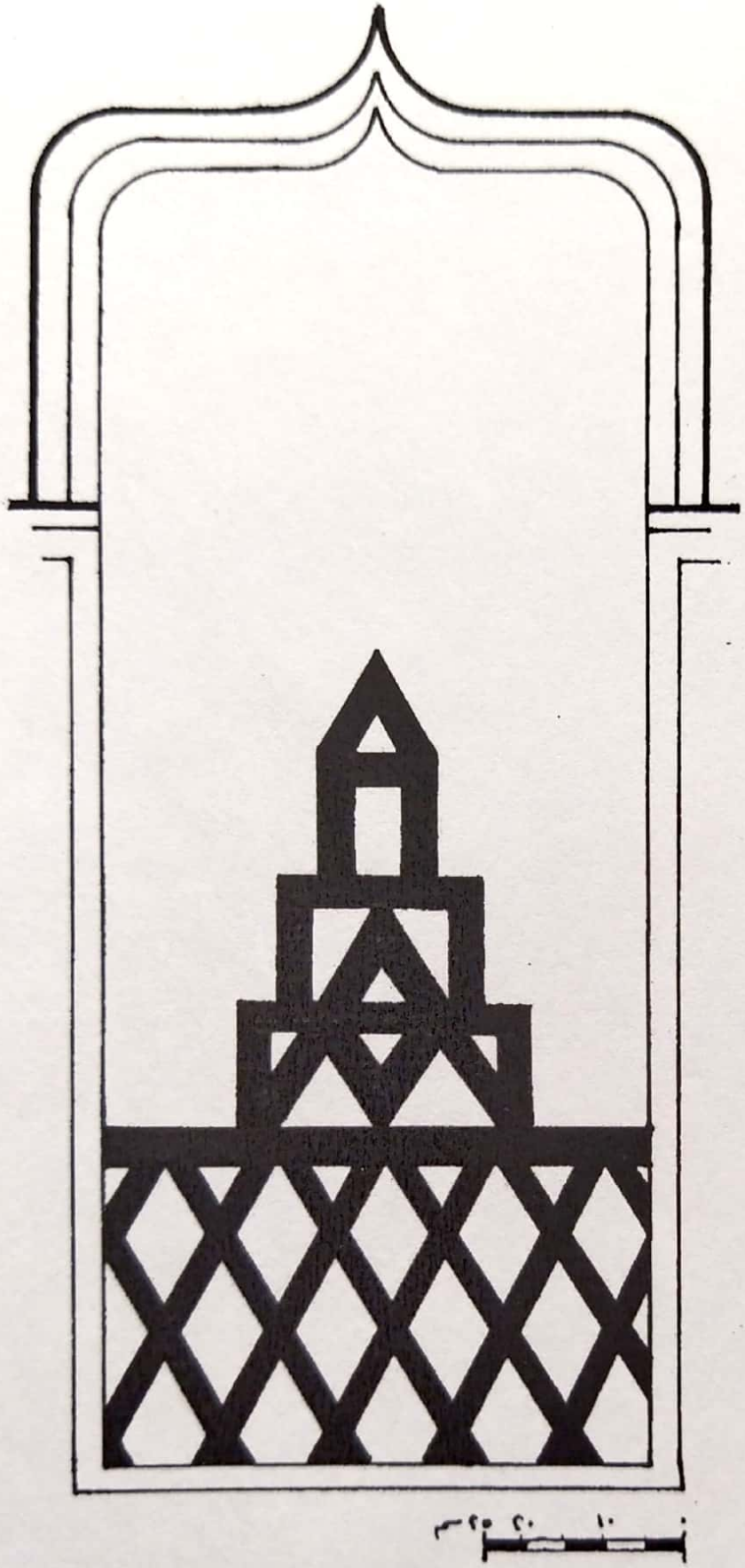

(شكل ٦) نموذج من زخارف وحليات المئذنة التي تحلي المستويات الخمسة المحصورة ما بين القاعدة والجوسق .

Scanned by CamScanner

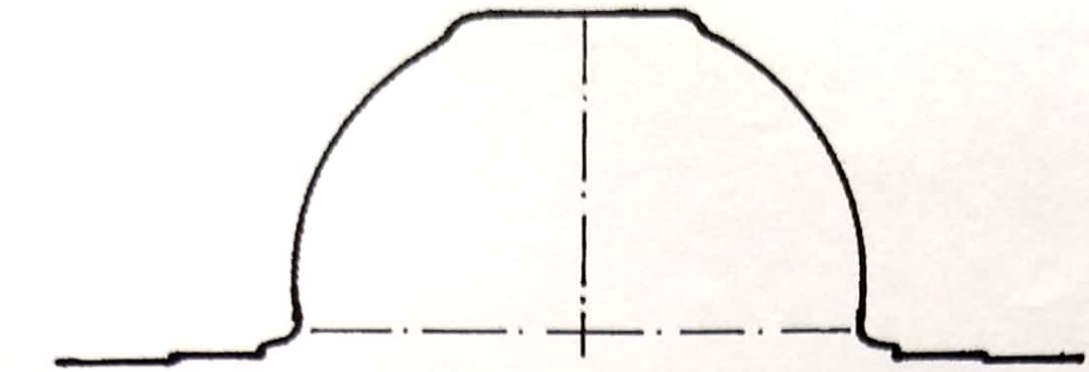

(شكل ٧) مسقط أفقي للمحرابين الأيمن والأيسر بمقصورة الصلاة الجنوبية .

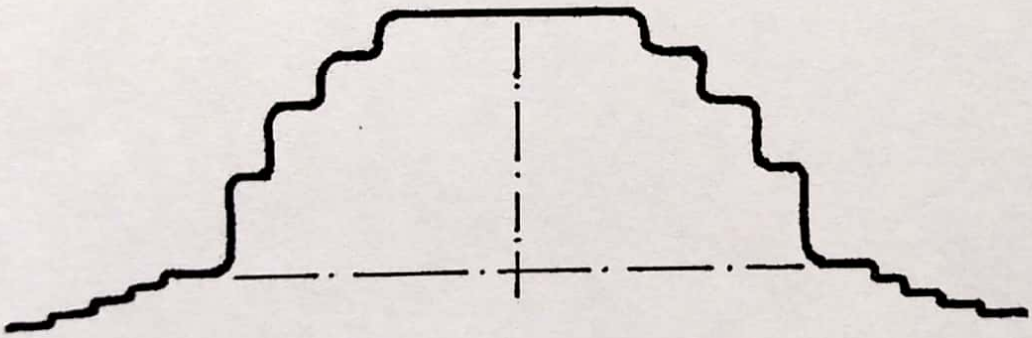

(شكل ٨) مسقط أفقي للمحراب الأوسط من محاريب المقصورة الجنوبية .

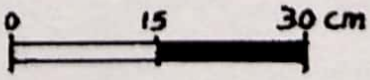

Scanned by CamScanner

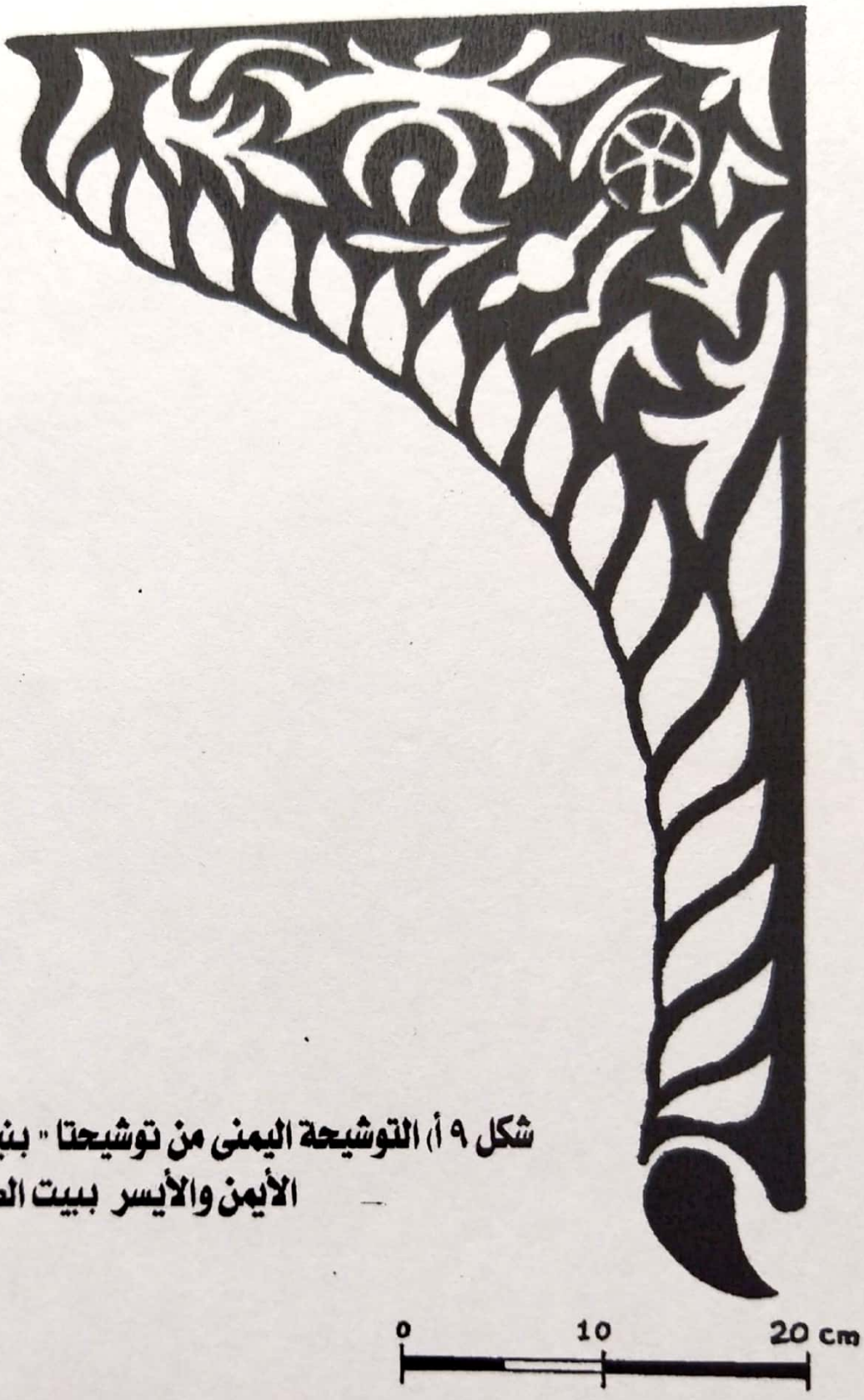

شكل ٩ أ) التوشيحة اليمنى من توشيحتا " بنيقة" المحرابين
الأيمن والأيسر ببيت الصلاة الجنوبي

Scanned by CamScanner

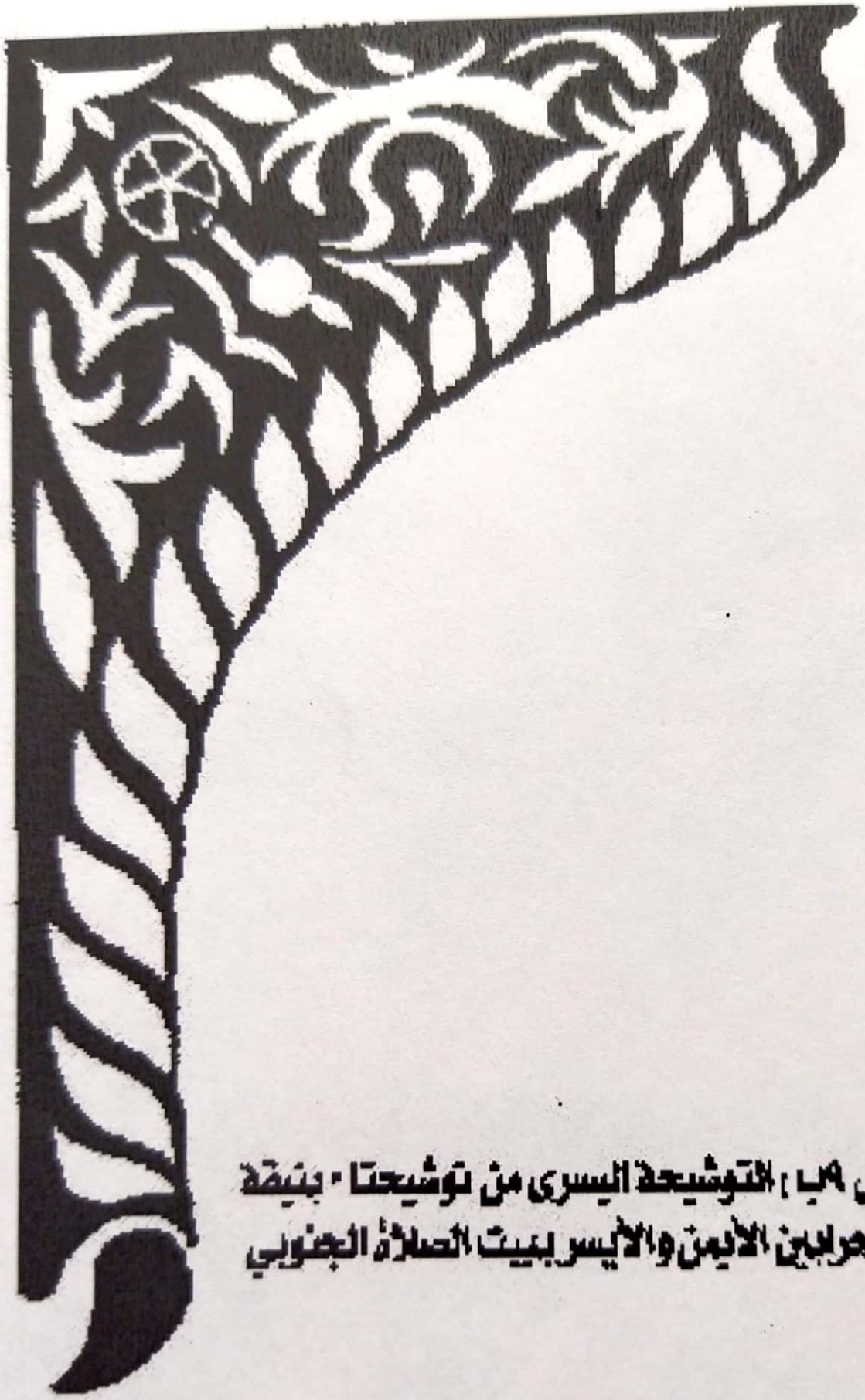

شكل ٩ب : التوشيحة اليسرى من توشيحتا ، بنيقة
المحرابين الأيمن والأيسر ببيت الصلاة الجنوبي

Scanned by CamScanner

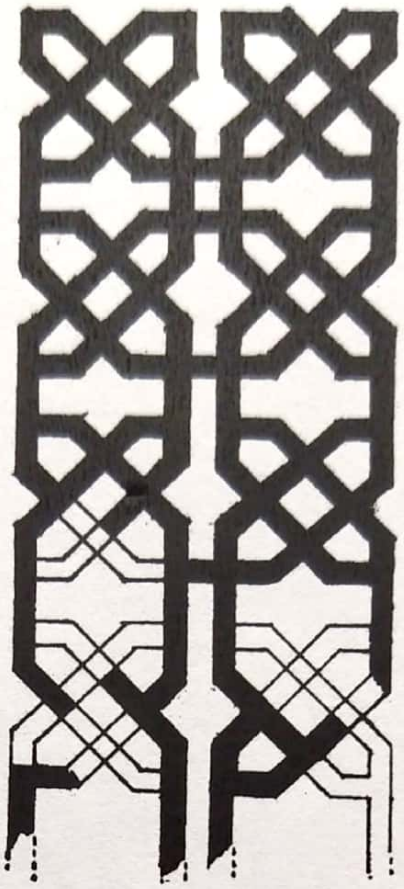

(شكل ١٢)

نموذج للزخارف الهندسية التي تزين المحرابين
الأيمن والأيسر من محاريب بيت الصلاة الجنوبي

(شكل ١٣) نموذج للزخارف النباتية التي تزين أعلى المحرابين
الأيمن والأيسر ببيت الصلاة الجنوبي

Scanned by CamScanner

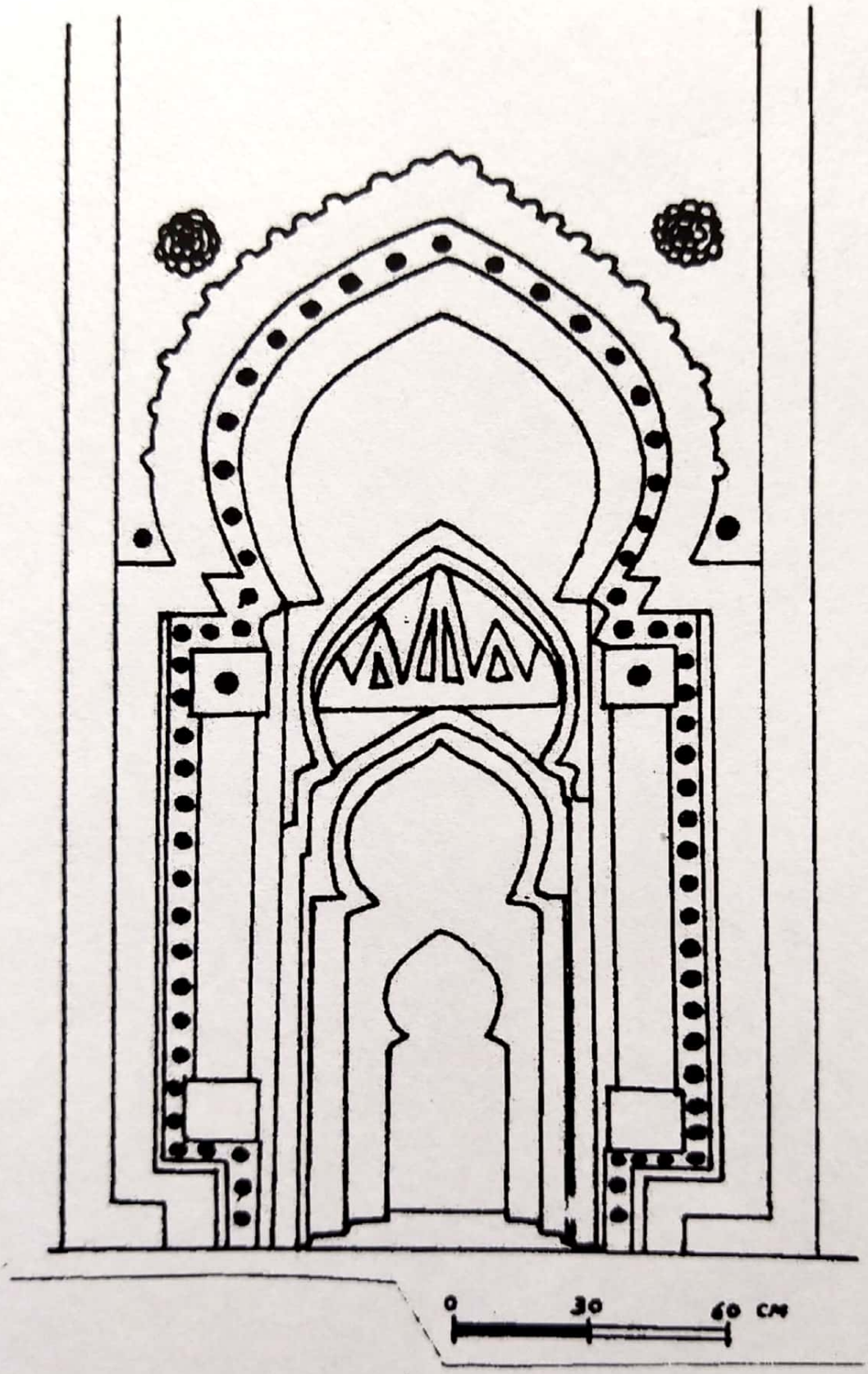

شكل ١٤) تفريغ لواجهة المحراب الأوسط ببيت الصلاة الجنوبي

Scanned by CamScanner

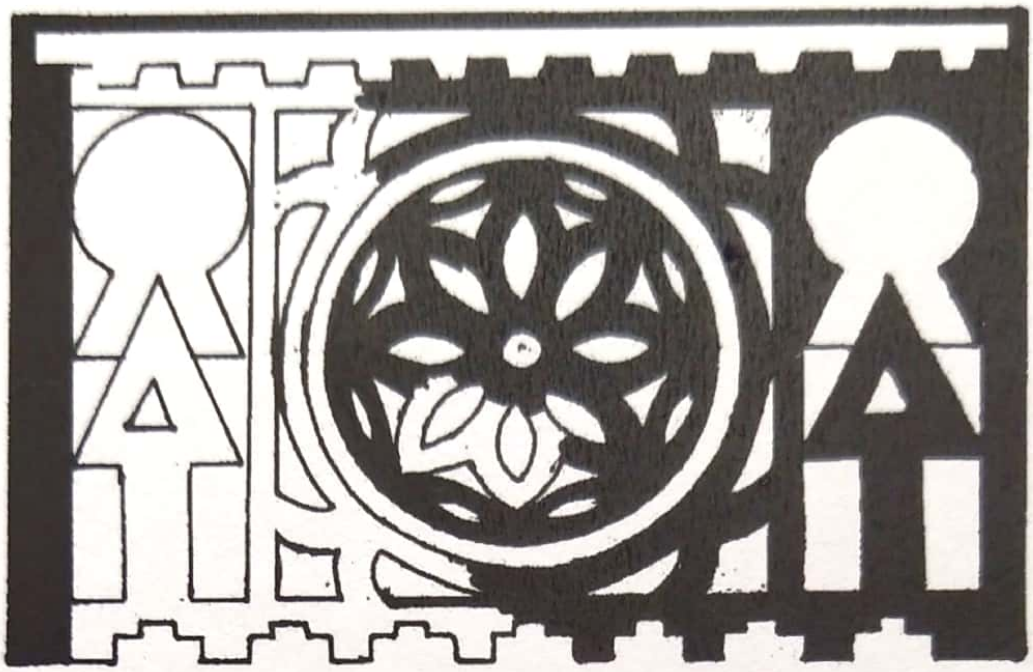

(شكل ١٥) نموذج للزخارف التي تزين قمة الباب الفاصل بين بيتي الصلاه الجنوبي والشمالي

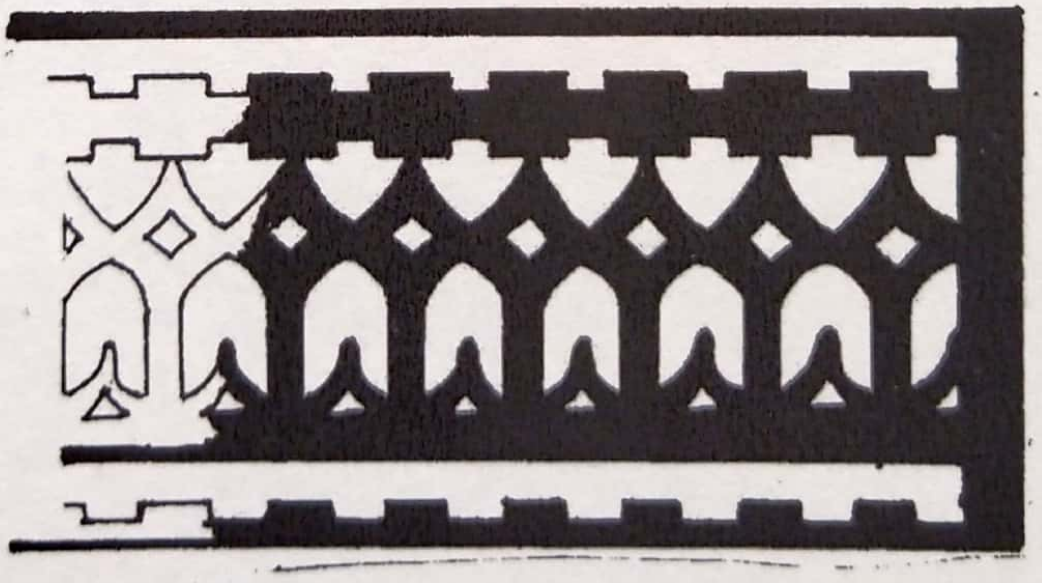

(شكل ١٦) نموذج للزخارف المحفورة في الخشب (على الباب السابق

Scanned by CamScanner

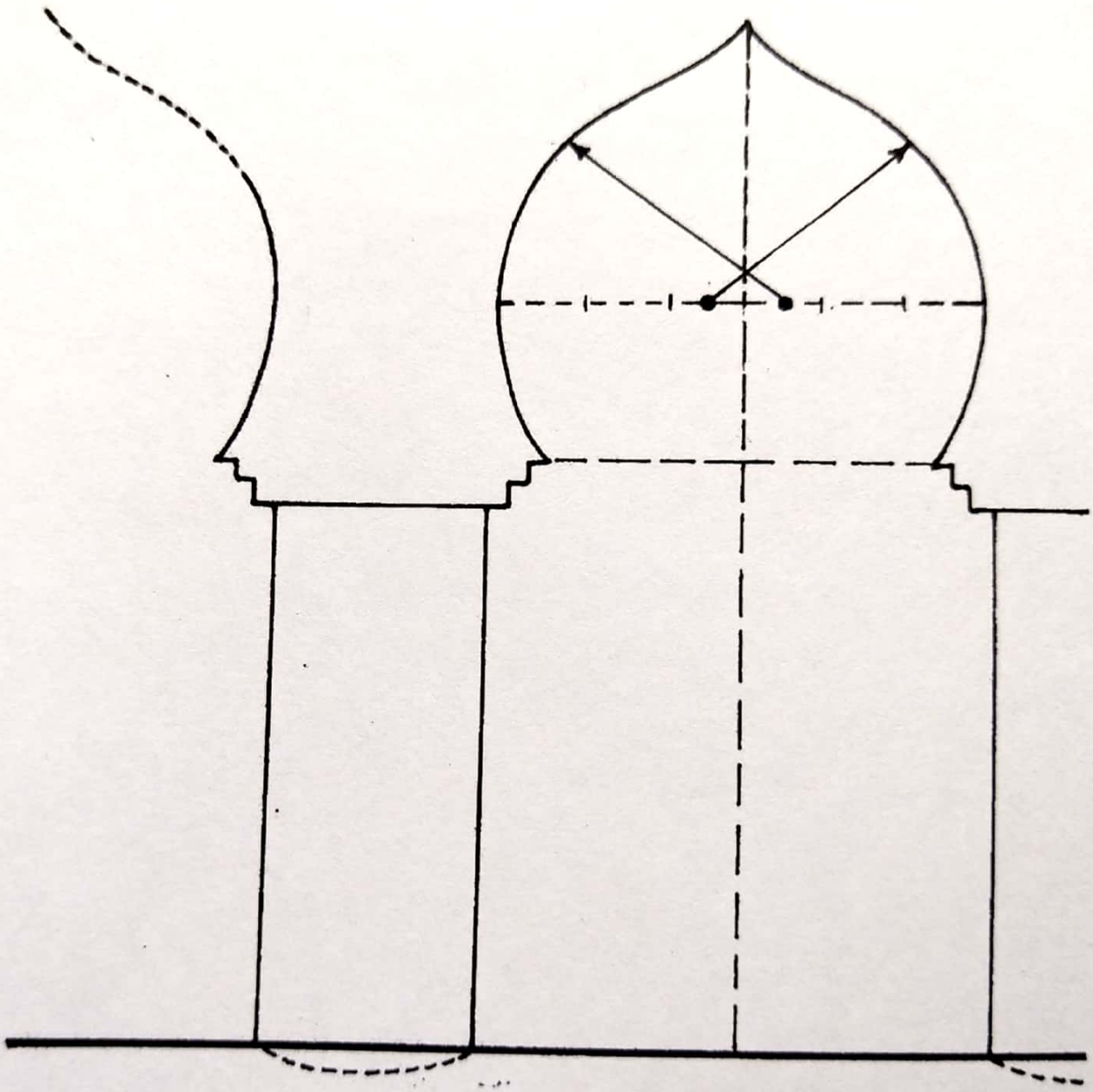

شكل ١٧) نموذج للعقد المدبب المخموس - ببوائك بيت الصلاة الجنوبي

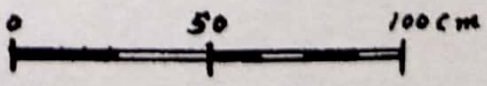

Scanned by CamScanner

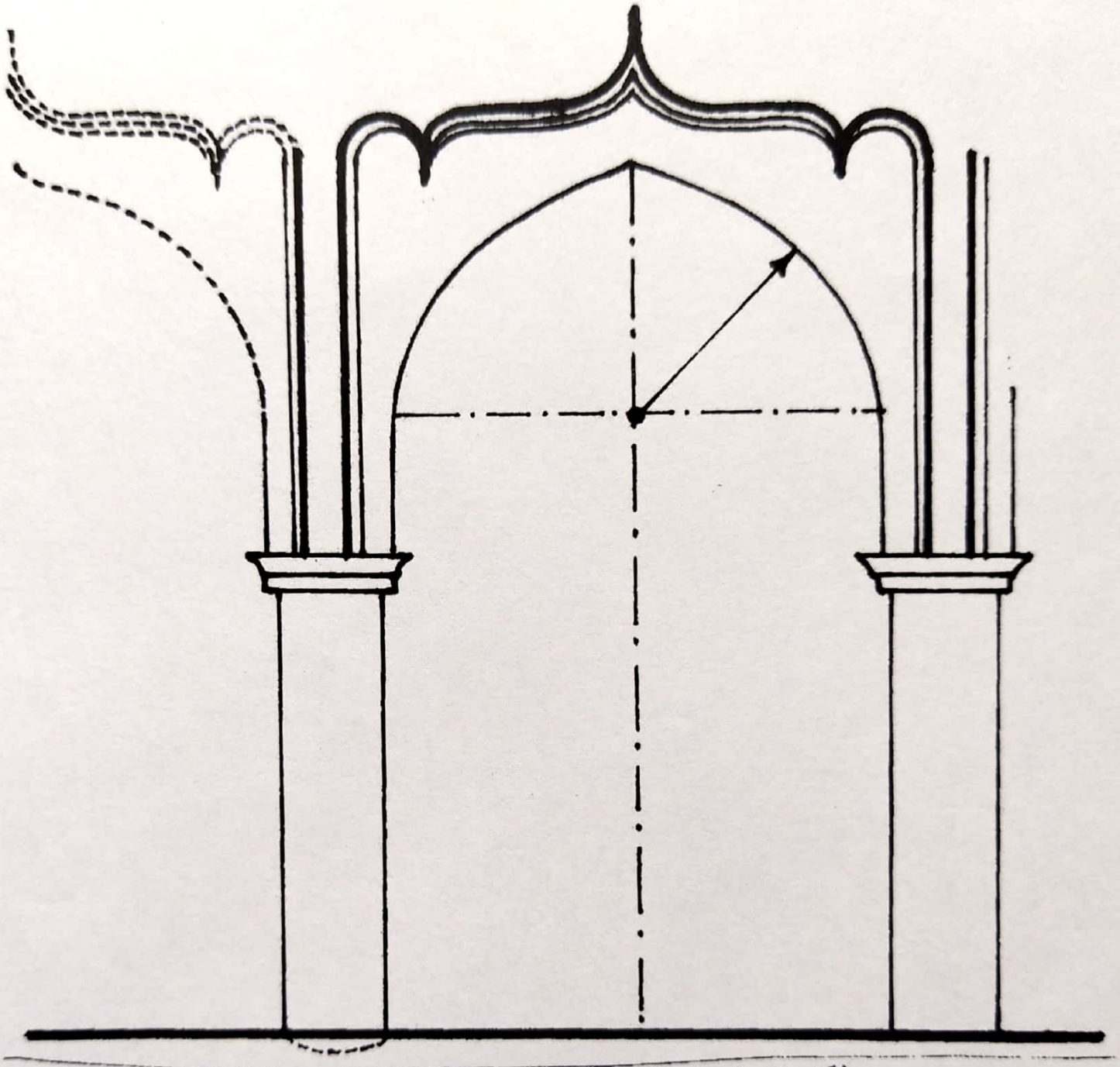

شكل ١٨) نموذج للعقد المدبب المشمور - بالبوائك المطلة على الصحن

Scanned by CamScanner

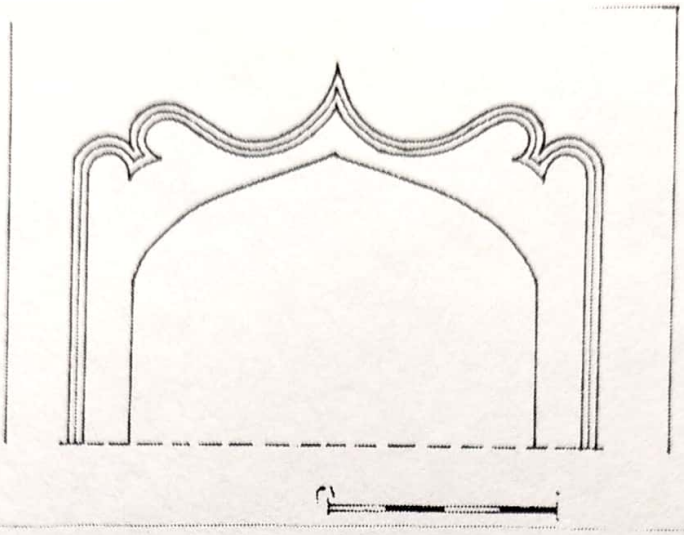

(شكل ١٩) نموذج للزخارف التي تزين أعلى عقد كل من المدخلين الرئيسيين بالواجهة الرئيسية .

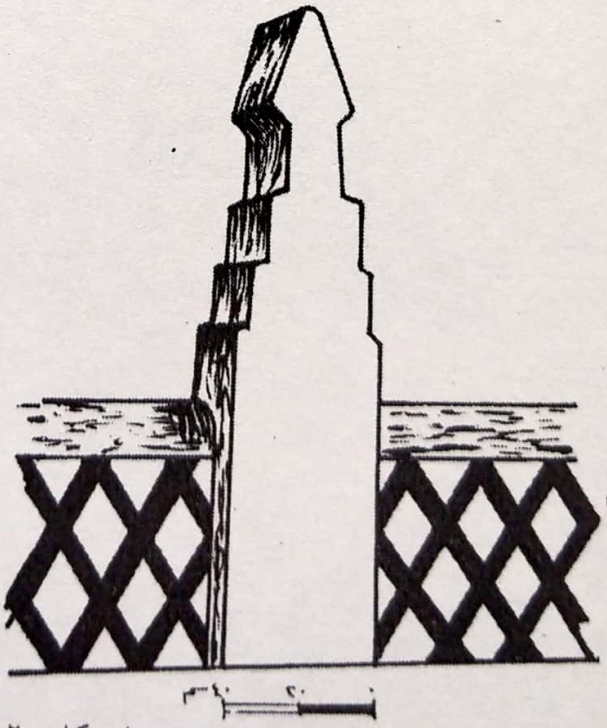

(شكل ٢٠) نموذج للشرفات المتدرجة ذات القمة الرمحية .

Scanned by CamScanner

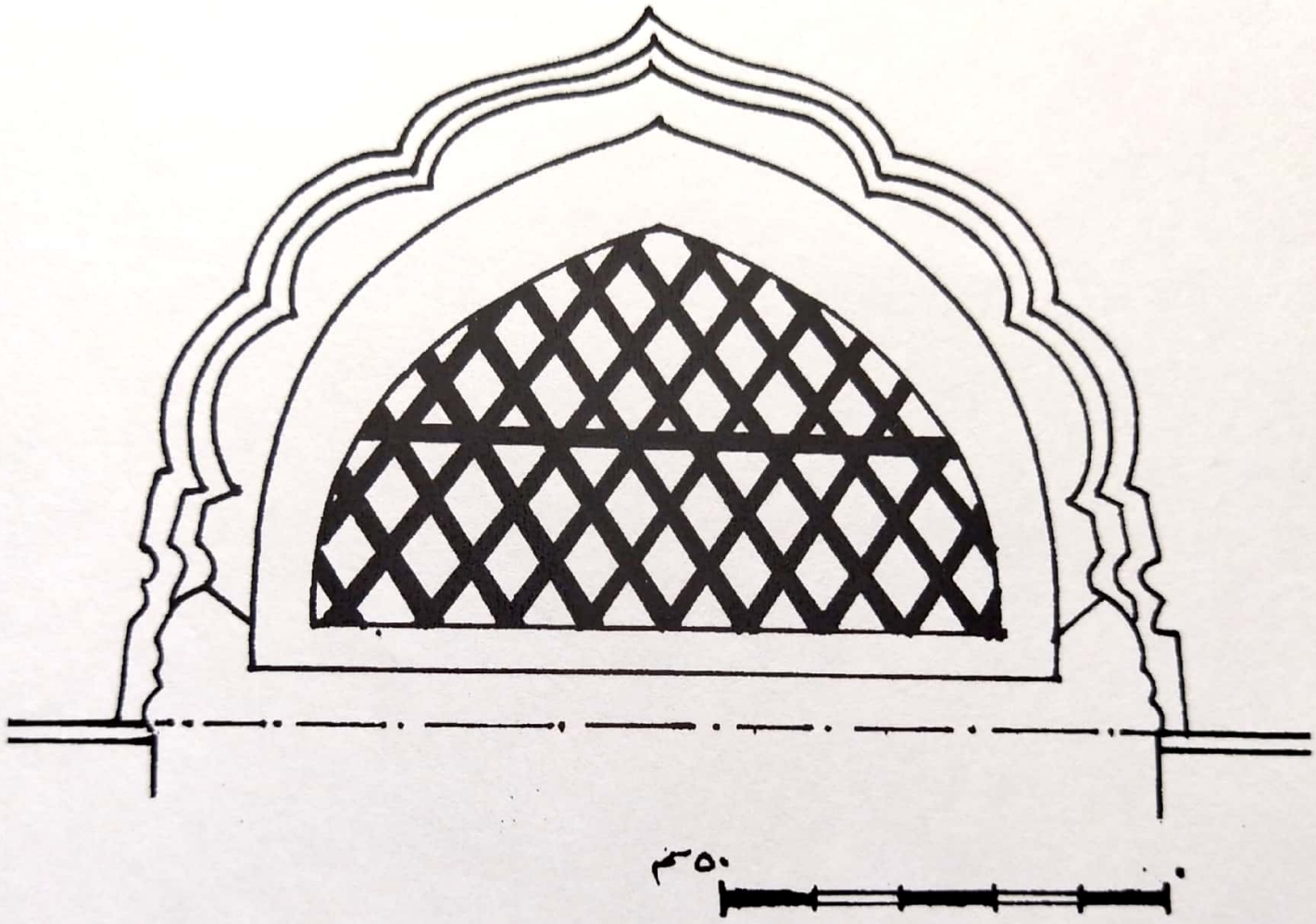

شكل ٢١ - شمسية من الطين المحروق المطلي بالنورة تعلو الباب الشمالي الذي يتوسط البلاطة الوسطى بالطرف الغربي من رواق القبلة الحديث. يحيط بها أطر مفصصة.

Scanned by CamScanner